الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور- خنشلة –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري) إلى بلاد العرب الصحراوية

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2
التخصص: أدب عالمي ومقارن

إعداد الطالبة:
*فطيمة صحراوي

إشراف الأستاذ:
* د/يوسف الأطرش

لجنة المناقشة:

الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
ملال إيمان	أستاذ محاضر – ب-	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
يوسف الأطرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
غنيمي الوردي	أستاذ مساعد – ب-	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017-2018

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم.

" :من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم

الحمد الله على إحسانه و الشكر له على توفيقه و امتنانه و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه و نشهد أن سيدنا و نبينا محمد عبده و رسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه و على آله و أصحابه و أتباعه و سلم .

بعد شكر الله سبحانه و تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين الذين أعانوني و شجعوني على الاستمرار في مسيرة العلم و النجاح،و إكمال الدراسة الجامعية و البحث؛ كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفني بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ الدكتور " يوسف الأطرش"الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائه حقه بصبره الكبير علي، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن؛ و التي ساهمت بشكل كبير في إتمام و استكمال هذا العمل؛ إلى كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي كما أتوجه بخالص شكري و تقديري إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز و إتمام هذا العمل " .

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحاً ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

المقدمة

يعتبر معظم الدارسين المهتمين بالنصوص الرحلية أو كتب الرحلات أن الرحلة سلوك ملازم للإنسان منذ أن وجد، رغم تباين الدوافع وتعدد الحاجات، إذ خرج باحثا عن طعام يضمن له الحياة وعن مكان يأمن فيه نفسه، فراعته أشياء وصادفته في طريقه وراقته مشاهد رآها أثناء بحثه، كما حيرته مظاهر وظواهر غابت عنه حقيقتها، فالرحلة شغلت مكانا مميزا في الأدب العربي و الغربي واتصفت بالجمع بين الفائدة والمتعة والتشويق .

الرحلة نقلة في الزمان و المكان وسفر داخلي في فكر وذات صاحبها ومعارفه ونظرته للحياة والوجود ككل، وقد ارتحل الناس ولازالوا يرتحلون، غير أن قلة منهم أقبلوا على تدوين الأحداث التي صادفتهم، ووصف الأقطار التي مروا بها، وذلك لشعورهم أنهم اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم فرغبوا في تخليده حتى يعرفه من لم يرحل إلى تلك الأماكن، فهي من بين الأجناس الأدبية الأكثر ثراء وغنى وتعددا للأصوات والخطابات ومن أكثر تجارب العالم الخارجي صعوبة و تعقيدا .

كان التخريس في مضامين ومعاني هذا البحث **"رحلات فارتيما إلى بلاد العرب الصحراوية"** يومئ إلى أنه يصب في إشكالية لها ارتباط بما هو وصفي سردي في الرحلة الغربية بالخصوص، وهذه الإشكالية تنحصر في علاقة رحلة فارتيما الإيطالي بالخطاب السردي والوصفي للرحلة (الخطاب الرحلي) .

أما الجمع بين هذين العنصرين، فهو الذي يضعنا أمام فرضيات يمكن صياغتها على الشكل الآتي:

كيف صور فارتيما رحلته إلى البلاد العربية؟ وما دوافع الرحالة وراء الإرتحال؟ وكيف جسد فارتيما معالم أدب الرحلة في رحلته إلى بلاد العرب؟

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على رحلة" **لودفيكو دي فارتيما** " الإيطالي أو كما سمى نفسه الحاج يونس المصري، الموسومة بـــــ: **"رحلات فارتيما"** ترجمة وتعليق الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، كما طمحت إلى تحقيق أدبيات هذه الرحلة الغربية، على اعتبار دافع الرحالة الذي يتجلى في المعرفة على حد تعبيره "إذا سألني أحد عن الدافع الحقيقي إلى رحلتي أجيب المعرفة"، وعلى اعتبار ما تحمله بين

دفتيها في شتى الميادين، وما تزخر به من وصف العبادات والعادات الإجتماعية ووصف الهيئات واللباس والطعام والحفلات ...وغير ذلك من المظاهر الحضارية المتنوعة .

وإن اختيارنا لهذا الموضوع لم يأت من قبيل الصدفة أو الإختيار العشوائي بل وفق تفكير قبلي مسبق،تمثل في أسباب تنوعت بين الذاتية والموضوعية أما الأسباب الذاتية فتمثلت في الرغبة والميول لهذا الموضوع وكشف مضامينه وخباياه علاوة على ذلك المعرفة والتثقيف أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في قيمة هذا الموضوع، ولما تحمل الرحلة من أهداف علمية أو سياسية...، وكذا لكونها عملا سرديا يقتضي الكشف عن خصائصها الأدبية .

وليتحقق ذلك كان لزاما علينا السير وفق منهجية واضحة تمثلت في المنهج المقارن الملائم والأقرب لهذه الدراسة

أما عن الخطة المُتبعة في هذا البحث، فإن القارئ له يستشف بلا مرية أننا اعتمدنا في بناءه على أسلوب استنباطي؛ حيث انتقلنا من العام إلى الخاص وجعلنا العام يتمثل في وقوفنا على مدخل إلى أدب الرحلة ، لنخصص القول بعدئذٍ بالوقوف على رحلة فارتيما.

ولقد اقتضت الدراسة أن يقسم البحث إلى مقدمة فصلين وخاتمة:

الفصل الأول فصل نظري موسوم بـــ: مدخل إلى أدب الرحلة وقد تضمن سبع مباحث :الأول وقفنا فيه على تعريف لأدب الرحلة، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى أهمية أدب الرحلة، بينما المبحث الثالث تناولنا فيه أنواع أدب الرحلة، و المبحث الرابع فقد كان حول دوافع أدب الرحلة بكل أنواعها، أما فيما يخص المبحث الخامس فتضمن أسلوب الرحلة، وبالنسبة للمبحث السادس فعنون بالرحلة عند الغرب، وأخر مبحث في هذا الفصل تناولنا فيه أدب الرحلة في إيطاليا.

أما الفصل الثاني كان تطبيقي فقد قسمناه إلى ست مباحث هو الآخر فتناول المبحث الأول التعريف بالرحالة" **لودفيكو دي فارتيما** " ونبذة تاريخية عنه، ومنه إلى رحلته، ثم المبحث الثاني الذي تناولنا فيه أهم أعماله، أما المبحث الثالث قمنا فيه بالتعريف بموضوع الدراسة "**رحلة فارتيما**" ومن ثم إلى المبحث الرابع تحت عنوان أسلوب

الرحلة ومناهجها منتقلين إلى المبحث الخامس الذي تطرقنا فيه إلى دوافع الرحلة وخط سيرها مختتمين هذا الفصل بالمبحث الأخير الذي كان حول البلاد العربية كما وصفها الأجانب.

وكل هذا وغيره لم يكن ليتحقق لولا جملة من المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في طريقنا لإنجاز هذا البحث ومن أهم هذه المراجع ما يلي :

- ✓ رحلة فارتيما الى بلاد العرب الصحراوية
- ✓ فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي
- ✓ الحسن الشاهدي: أدب الرحلة في العصر المريني
- ✓ القاسم بن يوسف التجيبي السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب
- ✓ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية
- ✓ جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب .خمس قرون من المغامرة والعلم
- ✓ علي عرفة عبده: أوربيون في الحرمين الشريفين
- ✓ حسين محمد فهيم: أدب الرحلات ...

ولا يخفى عن أحد أن طريقة إنجاز بحثي اصطدمت بصعوبات وعراقيل تمثلت في تناول المراجع والدراسات لرحلة فارتيما بشكل سطحي فقط رغم وفرة هذه المراجع واتساع مادتها إلا أن قلة الدراسات التي تناولت الموضوع بالتنظير والتطبيق قليلة ويصعب الحصول عليها .

وبهذا الجهد المتواضع يبقى بحثي مجرد بحث أكاديمي قابل للنقد والنقاش والجدال، وفي الأخير فأتوجه بالشكر للجامعة المؤسسة **عباس لغرور– خنشلة** -وكل من مد يد العون وساعد في بلوغ غايتي من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر أستاذي المشرف"**يوسف الأطرش"** منذ كان بحثي فكرة إلى أن صار موضوعا، بالإضافة إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الذين أرجو أن يجدوا في عملي هذا ولو قليل من الفائدة رغم ما تحتويه من نقائص كما قال أبو البقاء الرندي.

لكل شيئ اذاماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

وأخيرا أسأل الله التوفيق

الفصـــــــل الأول

مدخل إلى أدب الرحلة

المبحث الأول: تعريف أدب الرحلة

المبحث الثاني: أهمية أدب الرحلة

المبحث الثالث: أنواع الرحلة

المبحث الرابع: دوافع الرحلة

المبحث الخامس: أسلوب الرحلات

المبحث السادس: أدب الرحلة عند الغرب

المبحث السابع: أدب الرحلة في ايطاليا

المبحث الأول: تعريف أدب الرحلة

إن الحديث عن أدب الرحلة بالضرورة، حديث عن النصوص الإبداعية الأولى التي أنشأها المبدع العربي، وهي المدونة الشعرية، فالقصائد الجاهلية هي أول من حفلت بذكرها ووصفت مراحلها، فهي إذن قديمة قدم الإنسان.

لقد تعددت الرحلات وتنوعت باختلاف الأسباب الدوافع "فبواعث السفر والتنقل ورغبات الناس اختلفت باختلاف الأزمنة" [1] والأحوال التاريخية، وكان الرحالة يجوبون الآفاق ويهدرون أعمارهم، ويحصدون تجوالهم من أجل تدوين رحلاتهم التي حفظت جانب من مختلف الآداب والعلوم، وصورت واقع كل رحالة الذي صور وعاين المشاهد، التي تركت انطباعا وتأثيرا في نفسه، وذلك من خلال اتصال العرب بمختلف الشعوب قصد التبادل التجاري وغيره لقوله تعالى **"لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)"**[2].

وثمة اختلافات واجتهادات حول مفهوم أدب الرحلة ونذكر منها ما يلي:

ورد في **معجم المصطلحات الأدبية** أن أدب الرحلة هو:" مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[3].

يتوضح لنا من خلال هذا المفهوم أن أدب الرحلة هو تصوير لما يشاهده الرحالة بعينيه عند انتقاله من بلاد لأخرى فتطغى عليه الذاتية فهو يلمح عادات وتقاليد وسلوكات تلك المنطقة فيترك ذلك فيه تأثيرا وانطباعا وهذا الأخير يختلف من مكان إلى آخر.

يرى **عماد الدين خليل** "بأن أدب الرحلة في بدء الأمر ومنتهاه هو محاولة لإكتشاف سر الأشياء والتعرف على تكوينها"[4]، وبذلك يعتبر أدب الرحلة بحث وتفتيش وتحري عن كل ما هو باطن وغير ظاهر من أجل اكتشافه.

و"درج الكتاب العرب على استخدام عبارة أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين وغيرهم الذين يصفون فيها البلدان والأقوام والتي

---

[1] نيقولا زيادة. الرحالون المسلمون والأوروبيون. ط1. الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010، ص: 47

[2] سورة قريش. الآية 1-2

[3] ناصر عبد الرازق الموافي. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري. ط1. دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، 1990. ص: 38

[4] عماد الدين خليل. من أدب الرحلة. ط1. دار ابن كثير، 2005. ص: 6

يذكرون فيها أيضا أحداث تجوالهم ودوافع رحلاتهم وما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه"[1].

يتضح لنا من خلال مقولة **حسن محمد فيهم** السابقة في تعريفه لأدب الرحلة لا يختلف عن التعاريف السابقة بكونه يرى أن أدب الرحلة يصف ما مر على الرحالة من بلدان وأقوام وما حدث فيها من مختلف مجالات ونواحي الحياة.

يرى **بطرس إنجيل** أن أدب الرحلة هو ما يمكن "أن يوصف أدب الرحلة الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها الرحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"[2]، يدرج بطرس أدب الرحلة هنا ضمن الواقعية التي تتضمن الدقة وصدق التعبير.

ولعل تعريف **إسماعيل زردومي** من أدق التعاريف وأشملها بقوله "الرحلة مادة حكائية قائمة على السفر والانتقال تجري في زمن مسجل بدقة تحكى كأحداث وقعت في أمكنة متعددة، وفي زمن مضى"[3].

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن أدب الرحلة مرتبطة بعنصر الحكي الترحال، الانتقال والحركة، وهذا الانتقال يختلف من مكان لآخر خلال أزمنة غابرة.

إذن فأدب الرحلة تصوير للحضارة بما تحويه من أخبار الأمم ونادر الحكايات ووصف للأحداث ومختلف صور المجتمع الذي يكون الرحال قد احتك به مازجا بذلك انطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم.

كما تدعو الرحلة إلى السير وكشف مضامين الحياة ومجاهيل الأرض لقوله تعالى: **" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (11)"[4]، وبهذا يكتشف الإنسان الحقائق الباطنية والمجهولة، ويستلهم العبر و بعد معرفتنا لأدب الرحلة كان لابد لنا من الحديث عن أهمية الرحلة فيا ترى ماهي أهمية الرحلة في الأدب؟

[1] حسين محمود فهيم. أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة. ط1. ع138 الكويت، يناير 1978.ص: 13
[2] إنجيل بطرس. الرحلات في الأدب الإنجليزي. مجلة الهلال، ع7، السنة 83، يوليو 1975. ص: 52
[3] زردومي إسماعيل. تقنيات السرد في رحلة فيض العباب. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 8، جوان 2005. ص: 2
[4] سورة الأنعام. الآية 11

المبحث الثاني: أهمية أدب الرحلة

يعتبر فن أدب الرحلة من أكبر الفنون التصاقا بحياة الأفراد والأمم حيث أن الإنسان بطبعه اجتماعي يؤثر ويتأثر بغيره و يرى **حسني محمود حسين** "أن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور"[1].

يصور أدب الرحلة في مختلف المناطق حضارة تلك المنطقة بما تحوي من طريق الأخبار ونادر الحكايات وعجائب المخلوقات وعاداتها وبما فيها من مختلف الفوائد، ونمو للثروة الأدبية ووصف للحوادث والبلاد والأصقاع.

يكشف أدب الرحلة ما لا يكشفه التاريخ الذي يهتم بتصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتصوير للبلدان، ونظم الحكم للشعب، وهكذا فالرحلات حققت ما لم يحققه التاريخ، وأهميتها تكمن في قيم علمية وفنية فالقيمة العلمية هي التي تزود أهل التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وعادات الناس وتقاليدهم فالرحالة أنفسهم يحصلون على معارف وتجارب في مختلف الميادين، أما القيمة الفنية فتمثلت في تزويد القراء بالمعلومات، والصور، والأخبار، والأحداث، وبذلك تشكل لديه روافد الفن والمتعة الأدبية[2].

يقر **خالد بن عيسى البلوى*** في الصفحات الأولى من رحلته "هذا تقييد أطلعه عون من الله وتأييد قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية، وذكر يمنه وكرمه والممت مع ذلك بذكر بعض الشيوخ من العلماء الفضلاء الذين يطؤون ذيول البلاغة ولهم كلام يتألق منه شعاع الشرق ويترقرق عليه صفاء العقل وينبت فيه فرند الحكمة ويعرض على حلى البيان وينقش في فص الزمان والمعت بذكر نبذ من فوائدهم واختيار طرق من أناشيدهم، ومزجتها بما جرت

[1] حسين حسني محمود. أدب الرحلة عند العرب. ط2. دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1983. ص: 6

[2] نوال عبد الرحمان الشوابكة. أدب الرحلة الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري. ط1. دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2007. ص: 51

* أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي القنتوري شبه إلى مسقط رأسه قنتورية وهي بلدة من أعمال المرية في مملكة غرناطة، قاض على علماء الأندلس وأدبائها، ويعرف بالبلوي نسبة إلى بلي وهي فرع من قضاعة مؤلف كتاب تاج المفرق في تحلية عالم الشرق (713ه-1313م/ثم في 735ه-1378م)

إليه العبارة وجست فيه الإشارة من قطع الشعر المناسبة وقطع النور المنتظمة من جواهر اللفظ البعيدة الغور القريبة الحفظ.

وعليه فإن قيمة أدب الرحلة تمثلت في مختلف الجوانب التاريخية، الأدبية، الجغرافية، الثقافية، وهذا ما يجعلها جيدة فالرواية الصادقة والملاحظات الرهيفة تنبثق من الالتقاء بكبار العلماء والشيوخ والأخذ عنهم وهذا الأثر هو الذي يؤدي إلى الوثوق بالرحالة عند الحديث عن مشاهداته، فأخذ رجال الفكر والدين ما دونه هؤلاء الرحالة، وعمدوا إلى تحقيقه وإخراجه للاستفادة من الماضي وتوظيفه مستقبلا[1].

وأبرز ما يميز أدب الرحلات هو تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات والحركة إلى الوصف والحوار[2].

تناولت المقولتين السابقتين أهمية أدب الرحلات إذ اعتبرت من أهم المصادر المعتمدة لدى المؤرخين والجغرافيين في أوصافهم النائية للبلاد كما كانت جزءا مهما من التاريخ الاجتماعي لمختلف الشعوب.

[1] المرجع السابق. ص: 52
[2] شوقي ضيف. الرحلات. ط4. دار المعارف، القاهرة، ص: 5

المبحث الثالث: أنواع الرحلة

تتعدد أنواع أدب الرحلة وتختلف في الوجهة أو المقصد، غير أنها تبقى عنصر أساسي مقوي في حياة المجتمع، وهذا التعدد يكون من خلال اعتماد هدفها الأول، وبذلك فإنها قد تجتمع الأنواع كلها في رحلة واحدة، وبهذا نلتمس أنواع الرحلات من خلال الأسباب والغايات ومن أهم أدب الرحلات ما يلي:

1. الرحلة الدينية والتعليمية:

حيث أن الدارس إذا أتم تعليمه في بلاده سافر بعيدا ونزل في بلدان أخرى يحضر فيها الدروس ويسعى للحصول على إجازة يفيد مما حدث ويلخص ما تعلم، والسفر في طلب العلم إما واجب وإما نقل أو علما بأمور الدين أو الأخلاق[1]، **لقوله صلى الله عليه وسلم " مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ"**[2].

وهذا النوع هو ترجمة للحياة الدينية والفكرية فقد يحدث أن ترحل البلاد بالمرتحل إليها بالعلوم بعد انقطاعه، ويرجع ذلك الفضل للرحالة وقد حث الإسلام على هذا الجانب وجعل منه فريضة وطلبه عبادة والبحث عنه جهاد كما في تبادل الحضارات القديمة فيما بينها فكل حضارة تأخذ من أصول وروافد حضارة سابقة وقد دعا القرآن الكريم إلى المشي في الأرض والتفكير في صنع الخالق فضلا عن النظر إلى الأمم والوقوف على القوانين الإلهية، كإهلاك الكافرين وتميز الصالحين واستخلافهم في الأرض لقوله تعالى"**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)**[3] .

وقوله أيضا " **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)**[4].

---

[1] ينظر: لمبروك أعمر. الفضاء المديني ودوره في التشكيل السردي. رحلة العبدري. أنموذجا رسالة ماجستير. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013. ص: 26

[2] أخرجه الترميذي من حديث أنس وقال: حسن غريب

[3] سورة آل عمران. الآية 137

[4] سورة النور. الآية 55

"هدف الإسلام من خلال هذه الآيات دعوة الناس إلى السير في الأرض والنظر الدقيق والموضوعية للأشياء واستخلاص العبر والدروس كالتفكير في خلق السماوات والأرض وتمكين الصالحين وتحصيل الخير الديني والثواب الأخروي" [1].

كان هدف أدب الرحلة من خلال هذا السياق هو الحج أو زيارة البقاع المقدسة وأداء الفريضة تتطلب المرور بالبلاد الشرقية، كذلك أنها تكون بغرض الجهاد والرباط في الثغور فطريق الرحلة الحجية مليء بالأسماء التي دونت في صفحاتها (مزارات، مقابر، أولياء) ذلك لاعتقاد الرحالة أن النظر إلى وجوه الصالحين عبادة وفيها أيضا حركة بالرغبة للإقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم[2].

أما بالنسبة للبقاع المقدسة فلا معنى من زيارتها إلا المساجد الثلاث فلا غرور أن نجد من يربط أدب الرحلة فقط بالجانب الديني، على أنه الدافع الأول والمحرك للرحلات الأخرى، كنوع خاص يفي فيه الحاج بتسجيل الحوادث والمشاهدات التي تقع له منذ خروجه من بلدته إلى غاية عودته إليها[3]، أصبح أدب الرحلة لازمة وضرورة سواء في طلب العلم أو لأداء فريضة الحج.

2. الرحلة التجارية:

كانت التجارة منذ القديم أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، "ثم إن الموقع الإستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجع العرب على ممارسة الترحال من خلال ما سمي برحلتي الشتاء والصيف، أما المغاربة فقد قاموا برحلات من أجل التجارة وهم أولئك الرحالة الذين جابوا البحار والمحيطات وسافروا عبر المغاور ينتقلون وينقلون بضائعهم من بلد لآخر، وقد يقضون في متاجرتهم هذه سنين عدة، وعندما ينتقلون إلى أوطانهم عائدين يأخذون في سرد الحكايات والأحاديث في أسلوب شيق عما صادفوه، أو ما شاهدوه ويحكون على البحر وأهواله، وعن أسماكه ومحاره، وعن جزره وقاطنيها وطبائعهم وعاداتهم"[4].

---

[1] عبد الله بن عثمان الياقوت. أدب الرحلة الحجازية عند الأندلس ق6 إلى سقوط غرناطة. رسالة دكتوراه. إشراف محمد زيتي. جامعة أم القرى. كلية اللغة العربية، السعودية، 2001. ص: 22

[2] الغزالي أبو حامد. إحياء علوم الدين. ط1. السفر، ج2، ص: 743

[3] أبو القاسم سعد الله. تجارب في الأدب والرحلة. ط1. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. ص: 268

[4] جميلة روباش. أدب الرحلة في المغرب العربي. رسالة دكتوراه إشراف محمد بن لخضر فؤاد. جامعة بسكرة 2015/2014. ص: 28

3. الرحلات الرسمية:

أثـر اتسـاع رقعـة الدولـة الإسـلامية فـي ظهـور هـذا النـوع مـن أدب الرحلـة "وذلـك مـن قبـل الحكـام والأمـراء عنـد سـفرهم كرسـل أو مبعـوثين أو سـفراء، فبـدا أن هـذه الرحلـة منـذ عهـد **الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم** بالإضـافة إلـى الازدهـار الحضـاري للدولـة، الـذي كـان لـه دور فـي تطـور أدب الرحلـة، خدمـة لمختلـف الأهـداف ومـن تلـك الـرحلات نجـد رحلـة **سـلام الترجمـان** فـي ق 3ه بـأمر الخليفـة **الواثـق بـالله** للإطـلاع علـى السـد الـذي بنـاه **ذو القـرنين** علـى نهـري يـأجوج ومأجوج"[1].

المبحث الرابع: دوافع الرحلة

تختلـف دوافـع الإنسـان فـي أدب الـرحلات مـن شـخص لآخـر ومـن عهـد لعهـد وذلـك مـن خـلال العوامـل والمـؤثرات ومعرفـة الآخـر واستكشـاف العـالم، غيـر أنهـا لا تخرج عن الدوافع التالية:

1. الدوافع الدينية:

[1] ينظر: المرجع نفسه. ص: 29

وهي التي كان يرتحل فيها إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب وعهد السير على الصراط المستقيم، وأملا في المغفرة ومن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر.

2. دوافع علمية أو تعليمية:

بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبناءها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث والسير، و إن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه وقد فعل ذلك **عبد الله بن عباس والغزالي ابن منده والأصنف العكبري الشاعر** ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا فما أكثرهم ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البعوث العلمية والكشوف الجغرافية[1].

3. دوافع سياسية:

وذلك من خلال الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرؤى وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو.

4. دوافع سياحية وثقافية

تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب.

5. دوافع اقتصادية

[1] فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. ط2. مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002. ص: 19

للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتنذر في بلد المسافر، وقد يكون هروبا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل[1].

6. دوافع صحية:

كالسفر للعلاج أو الإستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث.

7. دوافع أخرى:

ونجد أسبابا أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العيش أو الهروب من عقوبة[2].

ومن خلال هذه الدوافع تبين لنا أن أدب الرحلة تسعى لفائدة ثنائية ألا وهي فائدة الفرد والجماعة بالإضافة إلى فضلها في تقريب الشعوب والحضارات بعضها ببعض.

المبحث الخامس: أسلوب الرحلات

يتميز أسلوب الكتابة الرحلية بخصائص تميزها عن باقي الأجناس الأدبية النثرية الأخرى والمتمثلة في:

1. أسلوب الرحلة الفهرسية:

تأثرت في أسلوبها بالطريقة الحداثية واستعارتها للمصطلحات والتراكيب والألفاظ منها، فإن أسلوبها مع ذلك يختلف تبعا لأسلوب صاحب أدب الرحلة أو لطريقة تدوين هذه الرحلات وما إلى ذلك[3]، وعليه نذكر أهم أدب الرحلات التي تميزت بأساليب مختلفة.

2. أسلوب رحلة ابن رشد:

نلاحظ أن أسلوب هذه الرحلة لم يتسم بالتكلف ولم يتقيد بالسجع أو المحسنات البديعية إلا بطريقة عفوية وهكذا فإن ابن رشد لم يحرص على هذا

[1] ينظر: المرجع السابق. ص: 19
[2] فؤاد قنديل . أدب الرحلة في التراث العربي. ص: 20
[3] ينظر: الحسن الشاهدي. أدب الرحلة بالمغرب في العصر المديني. ط1. الجزء الأول، منشورات عكاظ، ص: 613

التأنق في الأسلوب إلا في بعض المواطن كتقديمه للشيوخ ووصف الآثار والمسالك.

كما أن تقديمه هذا تختلف ديباجته من حيث الطول والقصر فمن أهم التجليات والتراجم ما قاله في ديباجته **بابن حبش**[1] **وأبي عبد الله ابن أبي تميم الحميري**[2] **وأبي محمد الطبري**[3] وغيرهم كما يختلف في الميل إلى استعمال البديع والتفنن في الأسلوب، كما يكتفي في بعض السجعات المدرجة ضمن سياق الترجمة يقول مثلا **ابن النحاس**: أحد أعلام وعلماء الديار المقدسة المصرية "إمام في العربية والآداب ومروءة ظاهرة وخلق ظاهرة وراء وبهاء"، أي أن الأسلوب يقتضي الأدب والنظم الرائق والاتصاف بالكرم والمروءة والأخلاق والبهاء.

يميل أيضا إلى العناية بالأسلوب في بعض التراجم من خلال المحسنات البديعية والتأنق في التعبير بالإضافة إلى الترصيع والجناس والترادف ومراعاة التوازن بين الكلمات والجمل لإحداث إيقاع موسيقي ولعل ميله إلى الإكثار من الصنعة يرجعه إلى المستوى الأدبي الرفيع.

كذلك تنقيحه للعبارات وتنميقها في بعض ما صدر عنه من أوصاف لما شاهده في رحلته كوصفه للنزهة التي جمعته بتونس مع فضلاء الأصحاب ووصفه لمنار الإسكندرية ووصف حوران ومغاراته المدنية ودخوله لمكة المكرمة[4].

من خلال هذا الطرح يتبين لنا أن أسلوب ابن رشد تميز بمجموعة من الخصائص المتمثلة في العناية بالأسلوب وثراءه بالمحسنات البديعية والتوازن بين الكلمات والجمل.

3. أسلوب الرحلة المغربية:

تمثل أدب الرحلة المغربية برحلة العبدري التي كان هدفها الرئيسي فيها مزدوجا ويمكن أن نورده فيما يلي:

أولا: الدافع الديني المتمثل في أدائه لفريضة الحج.

ثانيا: رغبته في لقاء العلماء والأعلام للأخذ عنهم وقد بدأ في تدوينها بمجرد انطلاقه فقد انصب على وصف البلدان وسكانها وذكر الأخبار والحوادث وذكر

[1] المرجع نفسه. ص 613
[2] المرجع السابق. 2. ص: 614
[3] المرجع نفسه. 2. ص: 614
[4] ينظر: المرجع نفسه. ص: 614

الأشعار والقطع النثرية النكت ويختم ذلك بقصيدة يسرد فيها الرحلة، كما كان شديد الحرص على انتقاد العديد من البلدان، فنلحظ أن أسلوبه يتميز بالزخرفة والصنعة والإنسياب إلى التعبير البسيط والأسلوب المتحرر كما هو الحال في وصف مدينته تونس ومدينة الخليل وكأنها لوحات مسجوعة ووقفات يستريح فيها الكاتب ثم يتحرر من قيود البديع والصنعة كما استخدم الأسلوب الفني المنمق فيها تراجم لكل من **ابن دقيق العيد وعلاء الدين الأعمى وأبي العباس الغماس والأشعري** فكان أسلوبه واضح حيث راعى التوازن بين الجمل والإكثار من الجناس وما إلى ذلك فمن خلال الاستعراض لنماذج من أدب الرحلة نجد قدرة العبدري على اقتحام الميدانين معا للكتابة بأسلوب متحرر من القيود وأسلوب يهتدي فيه بمعالم البديع[1]، وبهذا فإن أسلوب العبدري لم يختلف كثيرا عن أسلوب ابن رشد.

4. أسلوب مستفاد الرحلة:

لم يختلف هذا الأسلوب عن بقية الأساليب الأخرى تقريبا فقد اعتمد على ما يلي:

عدم تقيد صاحبه بألوان البديع فلم يثقله بالمحسنات المختلفة لكنه تأثر بالطريقة الحديثة في التعابير والتراكيب ويظهر ذلك في كثرة مصطلحات وألفاظ الحديث وعلم الجرح والتعديل كقوله مثلا في التعليق على حديث "اللهم إليك أسلمت نفسي".

"هذا الحديث صحيح عال عشاري الإسناد متفق على صحته وثبوته" وبالرغم من عدم التزامه بالزخرفة والصنعة إلا أنه قد تنقلت منه بعض السجعات العفوية في معرض أوصافه أو في ديباجات التعريف ببعض الأعلام[2].

كما بدأ حديثه يتنمق التعبير باستعمال الجناس، الترادف، المقابلة وتظهر هذه العناية في قوله "حالب درر فصاحة اللسان وحالب درر ملاحة البيان" فهو هنا وظف الجناس بنوعيه التام والناقص والسجع إلى جانب التوازي.

5. أسلوب مذكرات النميري:

[1] محمد العبدري البلنسي. الرحلة المغربية. ط1. منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007. ص: 24-32-37

[2] التجيبي. القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مستفاد الرحلة والاغتراب. ص: 24

يتضح أسلوب **النميري** من خلال مذكراته فهو كغيره من الرحالة استفاد من المعلومات في أدب رحلته فقد سمح لنا بضمها إلى كتب الفهارس والبرامج فكان أسلوبه بسيط متحرر من الأسجاع والمحسنات البديعية في الوصف وفي تقديم الأعلام والإنتاجات وربما كان السبب في عدم التأنق في الأسلوب راجع إلى عدم تفرغه لتنقيح هذه المذكرات فوصلت بطريقة اليوميات المكتوبة على عجل وإن كانت رحلة التجيبي تميل إلى التعبير الفني فإن المذكرات لا نلمح فيها لأي أثر للنثر الفني في السرد والحكاية والتعريف بالأعلام وبذلك كان أسلوبه غير متكلف لم يبالغ في تنقيحه أو تنميقه بل لم يبارح البساطة في التعبير والتركيب وبدت هذه البساطة في وصفه لمنتزهات صاحب تلمسان[1].

المبحث السادس: أدب الرحلة عند الغرب

ساهمت الرحلة في اكتشاف موطن الإنسان وهذا ما أدى إلى إدراك مدى انتشارها في بقاعها، وبهذا وقد شكل القرن التاسع عشر قرن الرحلات بلا منازع

[1] المرجع السابق. ص: 212-213

فقد اعتبره البعض قرن اختبار المخزون التصوري عن الشرق، وذلك عن طريق الرحلة الفعلية إلى الشرق، ذلك القرن الذي سيطرت في بدايته الكتابات الرومانتيكية عن الشرق، الذي لم يهبط على الغرب عن طريقها مثل إلهام مفاجئ، لقد كان الشرق قبلهم معروفا للغرب، غير أنهم أضافوا معرفة جديدة جمعت بين الاكتشاف والتخييل[1].

فنجد الكثير من الرحالة الغرب قد اهتموا بالدراسة التاريخية للمدن العربية وذلك من خلال أهميتها البالغة من حيث كونها تبحث الأصول لإحياء التراث العربي، والحفاظ على الكيان القومي وتجسيد التاريخ ومن هؤلاء الرحالة نجد الرحالة الأمريكي الأول في الخليج العربي **لوشر LAUCHER** في كتابه المعنون بـــــــــ**"مع النجمة والهلال"** فهذا الكتاب يحمل دلالات ذات مغزى ديني ولربما كان هذا الرحالة محقا في إطلاق هذا الإسم على كتابه ففي فترة كانت الكنائس الأمريكية أكثر انشغالا بالتعامل مع الشرق الإسلامي من الحكومة الأمريكية كانت دول المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) تسيطر على مياه البحر المتوسط وتعتبره بحرا إسلاميا خاصا فهذه الرحلة تابعت صاحبها إلى الخليج العربي من بومباي ووصفها بأنها رحلة للرياضة والترويج فقد إنتقل فيها بين مسقط ومخزن السلاح، البازار، الكويت، البصرة[2].

شهدت الفترة من بداية القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى مجموعة من الرحلات المتتابعة التي قام بها عدد غفير من السياسيين الغربيين والإداريين ما يشير إلى أن المنطقة العربية قد باتت على أعتاب مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الذي سطره لها الاستعمار العالمي ولعل اللورد **كيرزن*** **KIRZEN** الحاكم البريطاني العام للهند، كان الرحالة الأول في سلسلة هذه الرحلات التي اختلفت بعد هذه الفترة هدفا وشكلا ومضمونا ولم يكد **كيرزن** يغادر الكويت حتى وفد إليها في 11 ديسمبر 1903 **هيرمان بورشارت**، وهو رحالة ألماني يهودي يبدو أنه كان يعمل في خدمة الصهيونية، التي كانت في تلك الفترة تتسرب بنحو حثيث في عصب الإدارات الحكومية في دول الغرب ولاسيما في وزارات خارجيتها.

---

[1] ينظر: عزوز نواصري. الجزائر في أدب الرحلة الفرنسي. غي دي موباسان وايزابيل ايبرهارت. "نموذجا" مذكرة ماجستير. قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات، جامعة عباس لغرور. خنشلة. 2014-2015 ص: 9

[2] عبد العزيز عن الغني إبراهيم. روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. ط1. ج3، دار الساقي للنشر بيروت، 2013. ص: 19

*ولد جورج ناثانيل كيرزن في 6 جمادى الثانية 11 يناير 1859 في كلدستون. من أعمال ديربي شير في أسرة ذات جذور نورماندية عريقة. في ديربي شير منذ منتصف القرن الثاني عشر ميلادي. عمل أبوه ألفريد كيرزن قسيسا في كلدستون، أما أمه بلونش فقد هلكت ولم يتجاوز جورج ستة عشر عاما.

وعلى الرغم من هؤلاء الرحالة ورحلاتهم هذه إلا أن الحقيقة أنه ليس هنالك شواهد كثيرة على معرفة الأوربيين في تاريخهم القديم لهذا اللون من الأدب، أي أدب الرحلة عدا ما ورد في كتاب الإغريق وشعرائهم ونعني بذلك الإغريق هوميروس.

كما أن هذا لا ينف أننا نجد عددا كبيرا من الرحالة الأوربيين قد أسهموا إسهاما إيجابيا بتقييم معلومات مفيدة ومعرفة بالشعوب غير الأوربية لم تكن متوفرة من قبل[1].

فهذا ما نجده في تقديم **الشيخ حمد الجاسر** لترجمة كتاب اكتشاف جزيرة العرب للكاتبة **جاكلين بيرين BERINE JACKLINE** إبرازه للنتائج الإيجابية لعدد من الرحلات الأوروبية في الجزيرة العربية يقول في هذا الصدد "وقد لا يحتاج القارئ إلى السير معه في ثنايا الكتاب لإدراك الجوانب المهمة من نتائج تلك الرحلات كالكشف عن آثار الحضارة العربية القديمة في جنوبي الجزيرة والوصول إلى حل رموز الأبجدية الحميرية جديدة عن حلقة كانت مجهولة لدى العرب أنفسهم من تاريخ ذلك الجزء من بلادهم، فبرزت بفضل معرفة قراءة المسند في آثاره، من محافظ وسدود ودول تعاقبت الحكم فيه كالدولة المعينية والسبئية والحميرية[2].

ومن هنا يتضح لنا أن هذه الرحلات تضيف معلومات جديدة كانت مجهولة لدى العرب أنفسهم، وكان الفضل في ذلك للقارئ من خلال معارفه وآثاره، ولقد لقيت الرحلات الأوروبية في البلاد العربية اهتماما خاصا فقد عرف القارئ العربي كتبا عديدة مترجمة عن الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها من اللغات، ومن الكتب التي كتبها الرحالة البريطانيون والألمان منها: كتاب الإيطالي **سلفاتور أبونتي APONTI SELVATEUR** في البلاد العربية السعيدة، علما أن هذه الرحلة الوصفية أقدم وأهم، بالرغم من غياب الحيادية والإسراف في الحديث عن العداء الذي كان مستحكما من اليمنيين والأتراك وما قيل عن الرضا الذي كان يبديه نحو البريطانيين وهو ما كانت الصحافة الاستعمارية الأوروبية تروج له وتسعى إلى إظهار الدول الأجنبية المعادية للوجود العثماني في الأقطار العربية وكأنها قوى محررة للعرب، قبل أن

[1] حسين محمد فهيم. أدب الرحلات. ص: 14

[2] جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب. خمس قرون من المغامرة والعلوم. ط1. تر: عن الفرنسية قذري قلمجي وقدم له الشيخ حمد الجاسر. دار الكتاب العربي، ص: 8

تثبت الأيام أنها قوى احتلال حقيقي وأن التحرير أبعد ما يكون عنها وعن أهدافها الخبيثة[1].

وبهذا فنلاحظ أن الترجمة كان لها دور فعال وأساسي في نقل الأفكار والثقافات وتوطيد العلاقات بين مختلف البلدان بعضها ببعض. .
وبما أن الرحالة محل الدراسة إيطالي فقد انصب اهتمامي على الرحلة في إيطاليا

المبحث السابع: أدب الرحلة في إيطاليا

لم يقتصر أدب الرحلة عند الغرب على منطقة واحدة فقد شملت مختلف المناطق العربية، على الرغم من اختلاف جنسيات الرحالة, أمريكي، هندي بريطاني، إيطالي....

فمع بدايات القرن التاسع عشر تعدى الإنجذاب والتأثير إلى الشرق مرحلة الدهشة والإنبهار بالأشياء الغربية والحلم الرومانسي الذي أسهم في تدعيم أسطورة الشرق واختلاط الماضي بالحاضر في خيالات القراء والرحالة الأوربيين قبل محاولة اكتشاف جديدة للشرق القديم وانطلقت الرغبة في معرفة أدق عن الآخرين ترقب وترصد فيما يمكن أن نسميه تحقيق عن الشرق[2].

وخلال القرون الوسطى وبدايتها قام بعض الرحالة الأوربيين برحلات مختلفة لأغراض سواء كانت أغراض اقتصادية أو دينية أو غيرها متمثلة في الحج إلى الفاتيكان أو القدس، أو كانوا جيوش في الغزو.

ولعل من أبرز الرحالة الإيطاليين **ماركو بولو** الذي قام برحلة ضمت إقليم الشرق (الصين، الهند، فارس، وهرمز، وزنجبار، الحبشة، وشبه الجزيرة العربية) ويذكر **ماركو قلهات** (قلاياتي) التي تبدو أنها قمة ازدهارها، فهي كما رآها مدينة عظيمة تقع على ساحل البحر على نحو ستمائة ميل إلى الشمال الغربي، من ظفار وأهلها عرب يتبعون ملك هرمز وهم لا يشتغلون بزراعة الحبوب، بل يستوردونها من الخارج، عن طريق السفن التجارية[3].

وبهذا كانت رحلته لأغراض نفعية تجارية بحتة قدم فيها وصف حقيقيا عن العلم الذي شاهده إذ كانت معرفة الآخر قبل ذلك عن طريق السمع أو الخيال فقد كان هذا الكتاب توثيق عن هذه البلدان وشعوبها وأثر بشكل كبير على المفاهيم الجغرافية والأنثولوجية من خلال هذه الفترة إلى غاية عصر النهضة غير أن المؤرخين يتفقون على أن أول القادمين إلى الجزيرة العربية كان مغامرا

[1] ينظر: رينزو ماثروني. اليمن. رحلة إلى صنعاء. 1877-1878. ص: 6- 7
[2] علي عرفة عبده. أوروبيون في الحرمين الشريفين. ط1. عالم الكتب، القاهرة، 2014. ص:1
[3] عزوز نواصري. الجزائر في أدب الرحلة الفرنسي.مذكرة ماجستير. ص: 26

إيطاليا يدعى **لود فيكودي فارتيما VARTHEMA LUDVICO** الذي بدل اسمه إلى **لويس فارتيما VARTHEMA LAUIS** عندما أرسلته كنيسة روما للقيام ببعض المهمات الإستخبارية إلى شبه الجزيرة العربية كأول جاسوس في خدمة الاستعمار البرتغالي يطرق مسالك الهدف الاستعماري وفارتيما فيها يقول العديد من المراجع أنه مجهول الأصل يرده البعض إلى روما ويرده آخرون إلى بولونيا والأرجح أنه من مواطني مدينة روما، أما إدعاء الأصل البولوني فنرده إلى أنه حين تنكر في زي المسلمين ليدخل إلى مكة وكان عليه أن ينتمي إلى بعض مناطق شرق أوروبا مثل بولونيا التي كانت المراكز المعروفة بإسلامها وذلك حتى لا ينكشف أمره وبالطبع فإن فارتيما لم يفصح عن السبب الحقيقي لرحلته فأثبت هدفا عاما بأنه إذا سأله سائل عن السبب الذي دفعني للقيام بهذه الرحلة فمن المؤكد أنني لن أستطيع أن أفصح عن السبب سوى رغبتي الجامحة في الحصول على المعرفة تلك الرغبة التي دفعت كثيرا من الرجال قبلي لرؤية هذا العالم والتفكير في معجزات الإله فيه...كما يضيف أن يرغب بشدة في زيارة أماكن أخرى لم يطرقها أحد قبله من العالمين ليكتب عنها وأنه يسعى للوقوف بنفسه على حقيقة العجائب الموجودة في الشرق[1].

ولا يخفي **فارتيما** هدفه التنصيري الذي كان يأمل تحقيقه حيث يقول: أنه يدرك تماما أن ما قد يقوم به فرد شاهد عيان قد يرجح جهود عشرة رجال في فصح مثالب الكفر الذي يقصد به الإسلام.

كما يدعى أنه لم يقم بهذه الرحلة مدفوعا بالكسب المادي وبالطبع لم يكن لهذا الرحالة أن يكشف عن أهداف رحلته بعد أن تعمد التعميم على أصله وأسرته وأنكر حتى اسمه[2].

وبالرغم من أهمية أدب رحلة دي فاتيما إلا أن الغموض يغلف سيرته الذاتية يرى المستشرق **بيرسي بادجر** أن معظم ما نعرفه عن فارتيما هو ما ذكره عن نفسه، إلا أننا نجد أن المؤرخ **زورلا** لم ينكره بين أشهر الرحالة الإيطاليين.

ربما السبب في عدم شهرته، هو نفس السبب الذي لم يجعله معروفا إلا من خلال ما قدمه فارتيما نفسه عن حياته.

[1] عبد العزيز عبد الغني إبراهيم. روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. الجزء الأول. دار الساقي للنشر. بيروت، لبنان، 2013. ص: 74-75-76-77

[2] المرجع السابق. ص: 76-77

الفصـــــــل الثاني

المبحث الأول: نبذة عن حياة لودفيكودي فارتيما

المبحث الثاني: أهم أعماله

المبحث الثالث: رحلة فارتيما

المبحث الرابع: أسلوب الرحلة ومناهجها

المبحث الخامس: دوافع الرحلة وخط سيرها

المبحث السادس: البلاد العربية كما وصفها الأجانب

ملخـــص الرحلـــــــــــة:

غادر فارتيما البندقية سنة 1503 ساعيا إلى تحقيق هدفه الذي يكمن في التعرف على البلاد العربية فبلغ القاهرة ثم مالبث حتى وصل إلى بيروت فطرابلس وأخيرا دمشق حيث أقام مدة لا تزيد عن الشهر تقريبا ليتعلم العربية، لغة البلدان التي هو بصدد زيارتها حيث كان في رحلته لهذه البلدان السالفة الذكر أن يتعرف في مصر وفي سوريا على المماليك بمختلف الجنسيات وبعد ذلك انتقل من دمشق إلى المدينة المنورة فمكة المكرمة وكانت هذه الطريق مملوءة بالمغامرات المتنوعة مع المماليك التي قادت القافلة في مسيرة 3أيام وما إن وصلوا إلى المزيرب حتى حطوا رحالهم لأنهم كانوا مرغمين على شراء غنائم الإبل و الأحصنة وفي الرابع عشر من شهر ابريل عام 1504 غادرت القافلة من المزيرب وهي تضم ما يزيد عن ألفين جمل وكان هناك ستين مملوكا لحراستها وبعد انقضاء اثني عشر يوما وجدوا وادي سدوم و عاموراء حيث صادفتهم ثلاث جبال في قمة كل جبل توجد مدينة وبعد مغادرتهم من هذا الوادي لاحظوا أن الناس قد ماتوا لكونهم لم يجدوا ماءا يرتووا به وبعد مسيرة يوم كامل من ذلك وجدوا بئر فعمتهم فرحة كبيرة غير أن هذه الفرحة لم تكتمل بسبب قدوم البدو حيث قالوا أن الماء مائهم ويجب أن يدفعوا لهم مقابل ذلك وما إن لبثوا حتى شرعوا في قتالهم وبعد مسيرة يوما آخر وصلوا إلى جبل كان يسكنه اليهود وكان هؤلاء اليهود مختلفين عنهم تماما حيث كانوا قصار القامة أصواتهم كأصوات النساء ويغلب عليهم السواد ثم أكملوا طريقهم وبعد مسيرة خمسة عشر نهارا وليلة لم يصادفوا أي شيء لا شجرة و لا طير... الخ وعلى مرمى حجرين خارج المدينة يوجد حوالي خمسين أو ستين نخلة في بستان في آخره قناة ماء تنحدر مياهها العذبة فارتوت القافلة منه, وعند وصوله للمدينة بدأ يوصف قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وموضع دفنه كما وصف المدينة المنورة بكل تفاصيلها كبيرة كانت أو صغيرة من تجارة وبضائع متنوعة والأحجار الكريمة الوافدة من مختلف بقاع العالم ووصفها بكونها المكان ذات الشرف الباهر كما تحدث عن مختلف الشعائر الدينية الإسلامية من طواف حول الكعبة، وطلب الغفران وذبح الأضاحي ومختلف مراسم الحج بعد انتهائه من بلاد العرب الصحراوية إنتقل إلى البلاد السعيدة بدءا بحيزان وصولا إلى إحدى الجزر الإفريقية 'بربرة' بعد ذلك انتقل إلى بلاد فارس وبعض سواحل الخليج العربي مرورا أخيرا بالهند ناقلا ما شاهده وما لاحظه عن كل منطقة.

المبحث الأول نبذة عن حياة لودفيكودي فارتيما

هو رحالة إيطالي (1517-1470) ولد في بولونيا بدأت رحلته من البندقية فينيسيا حاليا سنة 1503 متجها من أوروبا إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة مرورا بالنيل وترك مصر متجها إلى بيروت، ومنها إلى طرابلس وحلب ودمشق، من دمشق توجه إلى مكة المكرمة ويرد في موسوعة التراجم العالمية في القديم والحديث، المطبوعة في باريس سنة 1827 نص فرنسي، يعرفه بأنه رحالة إيطالي قام برحلته في القرن 10 ه الموافق للقرن 16 م وأن هذه الرحلة هامة جدا للمشتغلين بتاريخ الجغرافيا والمؤرخين بشكل عام[1].

سمى نفسه **الحاج يونس المصري** أما في الهند وإندونيسيا فإنه يعرف باسم **الحاج يونس العجمي**، ويذكر **بيتر برانت** في كتابه **بلاد العرب القافية** "أن فارتيما يعد بحق أول مسترق يخترق مكة المكرمة"[2].

يقول المستشرق **بيرجي بادجر** "أن معظم ما نعرفه عن **فارتيما** هو ما ذكره **فارتيما** عن نفسه، تعلم هذا الرحالة اللغة العربية في دمشق، ونظرا لكون الرحلة قديمة، قبل أن تنشط موجة الرحلات الإستشراقية فيما بعد وقبل ظهور

[1] عمار محمد النهار. الرحلات الحديثة المتبادلة بين الشرق والغرب. مجلة دوائر الإبداع. العدد الثالث. 2015. جامعة دمشق. ص: 187

[2] محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف. المختار من الرحلات الحجازية. ط1. المجلد الأول. دار الأندلس الخضراء . 2000. ص: 253

النزعة الرومانسية، حيث كانت مرحلة الجهل والخرافات هي السائدة في البلاد العربية، لذلك كان الرحالة يصف الأشياء الغربية التي تحدث أمامه، مما أوقعه في مشاكل عديدة مع السلطات والناس ومن جدة غادر بحرا إلى عدن التي وصلها عام 1504 وقضى فيها مدة قبل أن يبارحها إلى الهند، بعد قضاء عشرة أشهر في الجزيرة العربية.

وبعد مغامرته في بلاد فارس، وجزر الهند الشرقية والحبشة و الموزمبيق عاد فارتيما إلى روما في الفترة بين عامي 1558 و1559 حيث أصدر كتابه الذي يعد الوحيد من نوعه، المكتوب بلغة أروبية عن الجزيرة العربية آنذاك توصف في رحلاته، جميعا العادات والتقاليد، والطقوس الدينية، ووصف للمدن والأماكن، خاصة أنه كان يعمل لحساب ملك البرتغال، الذي أرسله ليتجسس على العالم الإسلامي، متخفيا بلباس المماليك، ويشير **عبد الرحمن الشيخ**"أن مهمة فارتيما كانت أكثر تعقيدا فقد كان مكلفا بوصف عادات الشعوب التي يمر بها في طريقه للهند، وكتابة التقارير عن جيوشها خاصة ذات القيمة في التجارة العالمية وباختصار فإن مهمته كانت التجسس الشامل على كل الشعوب والجماعات التي مر بها خاصة الإسلامية منها"[1].

وتم هذا بمساعدة المملوك الفارسي **خوجة ذو النور**،الذي قدم له خدمات هائلة" وأتاح لفارتيما فرصة التغلغل في المجتمعات الإسلامية وقدمها على أساس أنه مملوك ولهذا تشكل رحلة فارتيما الجناح البري لجهود البرتغاليين في اكتشاف الطرق المؤدية إلى ثروات الشرق عامة، والهند خاصة وجهودهم كذلك لتطرق العالم الإسلامي استمرارا لما كانوا يسمونه حرب الإسترداد[2].

تنوعت المصادر التي اعتمدها الرحالة فارتيما في تشكيل صورة الآخر ورصد معالم حياته المختلفة ومن هذه المصادر المشاهدة والمعايشة والسماع والنقل والأخبار.

[1] عمار محمد النهار. الرحلات الحديثة المتبادلة بين الشرق والغرب. ص: 186

[2] المرجع السابق . ص: 186

المبحث الثاني: أهـــــم أعـمــاله

جمـع **فارتيمـا** حصـيلة قصـص رحلتـه فـي كتـاب صـدر بالإيطاليـة فـي عـام 926ه/1520م، كذلك صدرت طبعة أخرى في عام 924ه/1819م مع مقدمة بقلم **اجينيسا فلتويا كولونـا** دوقـة لوجلاياكوز **وكونيسة** ابنـة الدوق **اوربينـو**، وترجم الكتـاب فـي عـام 926ه/1520م إلى اللاتينية الكنسية، ولم ينقض القرن السادس عشر إلا وكان ذلك الكتاب قد ترجم إلـى الألمانيـة و الإسبانية و الفرنسية و الهولنديـة والإنكليزيـة، تلك اللغـات التـي أصبح لأهلها اهتمام مباشر بالاستعمار أو التنصير في البلاد الإسلامية وقد أصبح هذا الكتاب بانتشاره الواسع إحدى أولى القوات الغربية التي فتحت على الثقافة الإسلامية وقد جـاءت معلوماتـه فـي معظمهـا مجملهـا متحيـزة غيـر صـادقة لا يمكـن للمـؤرخ اعتمادهـا لاســـتخدامه النقـــد والتحـــري حـــين يكتـــب فـــي التـــاريخ الاجتمـــاعي

لم يتخلص فارتيما من عقدة الخيال الجامح التي تميز كتابات الرحلة حين يصور معاناته في أوساط البدو وينشد بشجاعته، ويداعب في الوقت نفسه خيال القارئ الغربي ويعمل على إمتاعه[1].

المبحث الثالث: رحلة فارتيما إلى بلاد العرب الصحراوية

شـهدت الفتـرة التـي تلـت عصـر النهضـة الأوروبيـة "عـادة الحـج إلـى الأراضـي المقدسـة فجاءهـا الرحالـة، حجـاج، شـعراء، جنـود، تجـار، روائيـون مغـامرون، مبشـرون، سياسـيون، وعـدد ضـخم مـن السـياح"[2]، الـذين دفعهـم الفضـول لرؤيـة الشـرق وعاداتـه وتقاليـده، ومـن هـؤلاء الرحالـة نجـد **لـود فيكـودي فارتيمـا** فـي رحلتـه إلـى بـلاد العـرب، وتعـد هـذه الرحلـة -رحـلات فارتيمـا- مـن أهـم الـرحلات الغربيـة المعروفـة فـي القـرن السـادس عشـر والتـي تنحـو منحـى الواقعيـة معتمـدا

[1] عبد العزيز عبد الغني إبراهيم. روايات غربية في شبه الجزيرة العربية. ص: 76

[2] ينظـر: رحلـة شـارتو بريـان ضـمن كتـاب مـي عبـد الكـريم. رحالـة رومـانطيقيون (مـن يوميـات الرحالـة الأوروبيين). ط1. السويد للنشر والتوزيع، 2005. ص: 11

صاحبها في ذلك على التنقيب والبحث الميداني، فهي رحلة بحث أثنوغرافية في إفريقيا أو في شرق آسيا بغية جمع المعلومات ومعطيات وبيانات لبناء نصه الرحلي الذي يتسم بالتركيز على أهم الأحداث والوقائع وتكثيفها.

المبحث الرابع: أسلوب الرحلة ومناهجها

تمتلك الرحلة أسلوبيتها من خلال توافرها على مجموعة من الخصائص الأسلوبية، الفنية الجمالية، على اعتبارات الأسلوب أو الأسلوبية تهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة مقصدية، وبالتالي تهدف لاستكشاف خصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي، مع جرد مواصفاته المتميزة، وتحديد مميزاته الفردية واستخلاص مقوماته الفنية والجمالية، وتبيان أثار ذلك كله في المتلقي ذهنيا ووجدانيا، وذلك ما سنحاول استقراءه ودراسته في هذه الرحلة.

إن أول ما يشدنا في هذه الرحلة هو مزج الرحالة بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، على اعتبار أن هذا الأخير يقوم على مجموعة من الخصائص، كاستخدام إحصائيات وأرقام ومعطيات، وعدم الإهتمام بالموسيقى اللفظية، وحسن العرض، والتسلسل التدريجي للمعلومات إلى غير ذلك، إما فيما يخص الأسلوب الأدبي فمن خصائصه المزج بين الأسلوب الخبري والإنشائي و الإستعانة بالصور و الأخيلة، سنحاول في هذا المحور استجلاء هذه الخصائص وغيرها في كل من الأسلوبين:

نستهلها بالأسلوب الأدبي:

تتجلى صورة الأسلوب الأدبي في هذه الرحلة في السرد أو الخطاب المسرود على اعتبارات أن " الرحلة سرد، إنها حكاية انتقال سارد من مكان إلى مكان، فهو إخبار من صميم الواقع في إطار زماني ومكاني محددين بطريقة متقنة، "وقد يندرج في الرحلة سياق السرد الموقعي"[1]، هذا الأخير يتميز بملامح من مثل:"الملمح الأركيولوجي الذي يمارس من خلاله الرحالة وصف المكان من جهة وسرد تاريخه من جهة ثانية، وملمح تسجيلي فهو يحتفل بالإيقاع اليومي من جهة والرصيد الوثائقي من جهة ثانية والمعجم الواقعي من جهة ثالثة"[2]. وكذلك يتميز "السرد بتحويل جسد الرحلة إلى محطات سردية' أي بالتحويل من مرويات ومحكيات إلى أخرى بطريقة مختزلة فهذا ما جاء لسان فاريتما، وفي هذا الصدد يجب أن أعطي نبذة عن حاكم دمشق التابع لسلطات القاهرة، ألا يجاوز الحقيقة والخصوصية وبساطة الأسلوب"[3]. وبالتالي فالسرد الرحلي يفرز خصائص وروابط مشتركة تتحول حسب الاستعمال منها

تتميز هذه الرحلة بالتجاء الرحالة إلى الإيجاز في معالجة الموضوعات وذلك لكي لا يكون سرده مملا حيث يقول" فقد و عدت بأن أعالج الموضوعات باختصار حتى لا يكون سردي مملا لذا سأستمر باختصار في ذكر الأمور التي بدت لي جديدة بأن يعرفها الإنسان، وكذلك أكثر الأمور تشويقا وإثارة"[4].

إلا أن من مميزات الوصف في الرحلة هو محاولة الرحالة التدقيق فيما يصف نسوة دمشق يقول" أن النسوة في دمشق يجئن ويرحن وقد ارتدين أثوابا حريرية جميلة، فوقها عباءات صوفية بيضاء رقيقة ولامعة كأنها حرير، كما أنهن جميعا يلبسن صنادل بيضاء وأحذية حمراء أو أرجوانية ويضعن حليا كثيرات حول رؤوسهن ومعاصمهن وآذانهن..."[5]، وقد خصص لهذا الوصف جزءا كاملا في الرحلة بشكل واضح.

إن ما يلفت النظر في هذه الرحلة لغتها السهلة والمهذبة علاوة على امتزاجها بلغة التاريخ والسياسة والجغرافيا والدين....مما يدل على أن الرحالة قد زاوج بين لغة مرجعية تراثية (لغة المؤرخين ورجال الدين) لغة تخيلية موسومة إلى حد ما بنزعة مسيحية والتي تجمع بين المقارنة والتصوير (مسجد وسط مكة:

[1] عبد الرحيم مودن. أدبية الرحلة. ط1. دار الثقافة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء، ص: 28
[2] المرجع نفسه. ص: 35
[3] شعيب حليفي. نقلا عن نوراند دوارون فن الرحلة
[4] رحلات فارتيما. الحاج يونس المصري. تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1994. ص: 99
[5] المصدر السابق. ص: 31

الكولوزيوم في روما)، (القاضي: الكاهن) (الشيخ، القديس)، (المسجد الجامع: كنيسة القديس بطرس)...

مع توظيف أشكال لغوية و تعابير تتسم بالحركية، وهذا جلي في استعمال الجمل الفعلية بكثرة، مما يدل على أن فارتيما لا يستقر في مكان واحد ويعطي للرحلة طابعا حركيا متميزا، فضلا عن الجمل الإسمية والجمل المصدرية والمؤكدة والمنفية هذا من جهة لسانه أما من جهة تخيله فقد وظف الرحالة جملا إبداعية متنوعة منها السردية، لقوله "وفي أحيان أخرى يأخذونها يقومون بحركات شبيهة بتلك الحركات التي يقوم بها شخص يزعم أنه يبارز..."[1]

والجمل الوصفية ومنها: أنهم يسيرون حفاة عراة إلا من قطعة نسيج قطني أو حريري من الوسط ولا يضعون فوق رؤوسهم غطاء"[2]، والجمل المحتمة يقول:"فحاق بهم عذاب الله وترك ديارهم خرابا لتراه الأجيال" [3] وغير ذلك من الجمل التي تزخر بها الرحلة، لأنها تتوافر على مجموعة من الفنون والمعارف التي تعبر عن تداخل النصوص وتفاعلها في قالب الكتابة السردية الإنشائية كذلك من بين الأساليب المستعملة نجد أسلوب الحوار مما يجعل من الرحلة ذات نبرات مختلفة أي ليست أحادية النبرة يقول:

أحد التجار: يا صديق، هل أنتهم غرباء

رفيقي: نعم

أحد التجار: كم يوم قضيتموها هنا؟

رفيقي: وصلنا هنا منذ أربعة أيام

تاجر آجر: حسنا، تعالو إلى منزلي فنحن أصدقاء مخلصون للغرباء[4]

ويجرنا في هذا الصدد الحديث عن معطى آخر في الرحلة ولعله البارز وهو توظيف معطيات وأرقام ونسب و إحصائيات وبيانات مستمدة من الميدان

[1] رحلات فارتيما. ص: 130
[2] المصدر نفسه. ص: 132
[3] المصدر نفسه. ص: 28
[4] المصدر السابق. ص: 165

وتعج الرحلة بهذه المعطيات فيقول مثلا لا للحصر في إحدى مناطق الهند تسمى "سيلان": "وتقع هذه الجزيرة تحت خط الاعتدال"[1].

نلاحظ تقديم إحداثيات المنطقة بشكل علمي دقيق وقلما نجد في الرحلة غياب أرقام بيانية، فهي مليئة بمعطيات توضيحية علمية، يقول في وصفه شجرة القرفة:" شجرة القرفة تشبه شجرة الغار خاصة في أوراقها وتتميز بعض الثمرات الغنية كالغار، إلا أن ثمراتها أقل حجما من الرند وأكثر شهوبا منها، والقرفة أنفة الذكر هي لحاء لهذه الشجرة وهم يقطعون فروع أشجار القرفة هذه كل ثلاث سنوات وينتزعون لحاءاتها عقب ذلك.."[2]، وهذا ما يتميز بأسلوب الرحلة العملي المستند على الملاحظة والوصف.

ويقول في إطار تقديم إحصائية:"ووفقا لما يقوله العرب فإن للشيخ الرعي إخوة ثلاثة وأربعة أولاد ذكورا كما أنه يمتلك 40000 حصانا و 10000 فرس وله هنا 30000 بعير لأن مراعيه تمتد مسيرة يومين"[3].

بناء على ما سبق، يمكن القول أن الأسلوب خاصية ضرورية في الكتابة الرحلية بشكل عام، التي تعتبر لغة الحضور الإنساني كله والتجربة الإنسانية كلها والأسلوب جزء من الكتابة، فهذه الأخيرة تعتمد على اللغة التي يجد فيها الكاتب الرحالة متنفسا للتعبير عن تصوراته وأفكاره وتسجيل ملاحظاته وتوثيق معطيات تاريخية، اجتماعية، سياسية، دينية، حضارية، جغرافية.

[1] المصدر نفسه. ص: 161
[2] المصدر نفسه. ص: 160
[3] رحلات فارتيما. الحاج يونس المصري. ص: 35

المبحث الخامس: دوافع الرحلة وخط سيرها

1. دوافع الرحلة:

أول الرحالين هو الإيطالي **لود فيكودي فارتيما** الذي قدم للجزيرة العربية عام 1503 وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة ليصدر بعدها كتابة **"رحلات فارتيما"**.

تختلف دوافع الرحلة من رحالة لآخر فقد يكون الدافع مصرحا به كالرغبة في مشاهدة دول العالم المختلفة ومعرفة الآخر واكتشافه أو دافع خفي لا يمكن التعرف عليه إلا من خلال نص الرحلة، ويقف وراء الرحلة الفارتيمية كغيرها من الرحلات دافعان:

الأول ما صرح به الكاتب في بداية الكتاب حيث يقول" إن الرغبة التي دفعت الآخرين لمشاهدة دول العالم المختلفة هي نفسها التي دفعتني للقيام برحلاتي هذه ولما كانت كل البلدان مطروقة على نحو كبير بالنسبة لشعبنا، فقد فكرت أن أرى البلاد التي لم يراها أهل البندقية، أو لم يتردد عليها كثيرا"[1].

أما الدافع الثاني فإن فاريتما لم يفصح عن السبب الحقيقي لرحلته فأثبت هدفا عاما:

"إذا سألني عن السبب الذي دفعني للقيام بهذه الرحلة، فمن المؤكد أنني لن أستطيع أن أوضح عن سبب رغبتي الجامحة في الحصول على المعرفة، تلك الرغبة التي سبق لها أن دفعت كثيرا من الرجال قبلي لرؤية هذا العالم والتفكير في معجزات الإله فيه، كذلك أجد نفسي كلما اتسعت دائرة أسفاري في العالم أشد رغبة في زيادة أماكن أخرى لم يطرقها قلبي أحد من العالمين فأكتب عنها"[2].

"ويضيف **دي فارتيما** أنه يسعى للوقوف بنفسه على حقيقة "العجائب" الموجودة في الشرق والتي كثيرا ما تحدث عنها المسافرون إلى تلك الأرجاء، ولا يخفى **فارتيما** هدفه التنصيري الذي كان يأمل تحقيقه حيث يقول أنه:"يدرك

[1] المصدر السابق. ص: 23
[2] عبد العزيز عبد الغني إبراهيم. روايات غربية في شبه الجزيرة العربية .ج1. ص: 74

تماما أن ما قد يقوم به فرد شاهد عيان قد يرجح جهود عشرة رجال في وضح مثالب الكفر" الذي يقصد به الإسلام"[1].

2. خط سير الرحالة:

اهتم الرحالة الغربيون بدرجات متفاوتة بحسب ما يقتضيه تنفيذ أهداف كل منهم بطبوغرافية الأرض ومظاهرها الطبيعة، فوصفوها ورسموا مسالكها ودورها و أحصوا قبائلها ومنازلها، وعمل بعضهم على دراسة التراث المادي والشعبي.

هذه الرحلة لم تكتف بوصف مدينة دون غيرها، بل التفتت إلى مختلف نواحي البلاد العربية الأمر الذي استدعى تتبع مسارها وحظ سيرها.

انطلقت الرحلة من مغادرة **فارتيما** البندقية سنة 1503 فبلغ القاهرة يقول في هذا الصدد:"عند وصولي للقاهرة وجدتها ليست كبيرة جدا كما أخبرتنا التقارير عنها قبل ذلك، أخبارا كان يثير دهشتنا، فمحيط القاهرة يساوي تقريبا محيط روما"[2] إلا أنها على أية حال تضم مساكن أكثر بكثير من روما"[3].

ومن مصر أبحر **فارتيما** إلى بيروت التي تبعد مسافة 500 ميل ومكث بها بضعة أيام وقال عنها" إنها مدينة مزدحمة جدا بالسكان المسلمين، وتزخر بالبضائع المختلفة، ويضرب البحر بأمواجه المختلفة في سورها"[4].

غادر **فارتيما Vartihema** بيروت إلى طرابلس فدامت رحلته إلى هناك يومين "إن كل سكانها مسلمون"[5].

بعد ملاحظاته العابرة عن طرابلس والقاهرة وبيروت تسوقه الرحلة إلى حلب التي أعطى عنها صورة موجزة هذه الرحلة استغرقت ثمانية أيام "إنها مدينة جميلة وإنها سوق لسوريا وتركيا وتخضع لسلطان مصر" [6].

من حلب ذهب إلى دمشق في رحلة استغرقت عشرة أيام توقف في مدينة حماة فلما وصل فارتيما إلى دمشق مكث بها عدة أشهر تعلم خلالها اللغة العربية وعنها قال بأنه "من المؤكد أن المرء لم يستطع وصف جمال المكان وجودته "[7]، إن سكانها

---

[1] ينظر: رحلات فارتيما. ص: 74
[2] رحلات فارتيما. ص: 23
[3] المصدر نفسه. ص: 24
[4] المصدر نفسه. ص: 24
[5] المصدر نفسه. ص: 25
[6] رحلات فارتيما. ص: 25
[7] المصدر نفسه. ص: 25

مختلطين من العرب والمماليك والمسيحيين واليونانيين، وأن حاكمها يتبع سلطان القاهرة كما تحدث عن قلعة دمشق "إن من بناها هو مملوك من فلورنسا"[1]، وإن هذا المملوك كان حاكم دمشق وقتها غير أنه تحدث عن دمشق بإسهاب لكن هذا الأنيف أنه كان شاهد عيان أمينا.

غادر **فارتيما** دمشق إلى مكة المكرمة مع قافلة الحجاج، وانطلق من دمشق يوم الثامن من شهر أبريل سنة 1503 مع قافلة الحج الشامية متجها إلى مكة المكرمة مرتديا ملابس المماليك وفي موضع يقال له المزريب التقى بالشيخ الزغبي ووفقا لما يدعي فارتيما فإن له أخوة ويقول في ذلك "كما أنه يمتلك أربعين ألف حصان وعشرة آلاف بعير.."[2] وعلى ما يبدو فهذه الأرقام خيالية كما أن هذه الرحلة دامت أربعين يوما.

وبهذا فقد قدر له التعرف على مدينتي الإسلام المقدستين وقبر النبي صلى الله عليه وسلم وحرم الكعبة وأعظم شعيرة من شعائر الدين الإسلامي وهو الحج.

يذكر **دي فارتيما** أن القافلة بلغت وادي سدوم وعلموراء بعد مسير اثنين وعشرين يوما، ومن الواضح أن ذلك ليس صحيحا لأن هاتين المدينتين تقعان على شاطئ البحر الميت ولكن يورد هنا خليط مما يتذكره من التوراة فيقول أن سكان هاتين البلدتين لابد أنهم ارتكبوا المعاصي حتى "أنهما قد خربتا نكالا من الله"[3]، ""بسبب معجزة الرب"[4].

ويبدو أن الرحالة قد خلط هذا النوع من الاعتقاد، بما تذكره من معاقبة العبرانين في الصحراء لتذمرهم من الرب ومن معاقبة سدوم و عاموراء، يمر بسفح جبل يراوح محيطه مابين عشرة أميال واثني عشر ميلا، يسكنه اليهود ويغلب عليهم السواد ولا يأكلون إلا لحوم الغنم وهم مختونون"[5]، وإذا مر عليهم "أحد المسلمين بين أيديهم سلخوه حيا"[6].

وأخيرا بلغ **دي فارتيما** المدينة وكان يظن في أوروبا أن جثمان **النبي صل الله عليه وسلم** معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة فكان له الفضل في تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ إذ رأى بالفعل قبر **النبي صل الله عليه وسلم** في المدينة، حيث وصف المسجد بأنه مربع ينتصب فيه "أربعمائة عمود من

[1] المصدر نفسه. ص: 35
[2] رحلات فارتيما. ص: 35
[3] المصدر نفسه. ص: 38
[4] المصدر نفسه. ص: 42
[5] رحلات فارتيما. ص: 42
[6] المصدر نفسه. ص: 41-42

الأحجار الداكنة قد طليت باللون الأبيض"[1]، وذكر أنه فيها ما يقارب ثلاثة آلاف مصباح موقد بشكل دائم وفي أحد أركانه برج مربع مكسو بالحرير وعلى جانبيه مختلف الكتب من سير النبي صل الله عليه وسلم ووصاياه وأعمال العظماء المسلمين المدفونين فيه.

ترك **فارتيما** المدينة قاصدا مكة المكرمة وصل إليها بعد عشرة أيام متواصلة من السفر وصف مكة المكرمة بقوله "إنها مدينة رابعة الجمال قد أحسن بناؤها وتضم حوالي 6000 أسرة"[2] ولا يحيط بها أسوار بل محاطة بسلسلة من الجبال كان لها أربعة مداخل وحاكمها أحد الأشراف وكان على خلاف دائم مع أقربائه حول مكة.

كانت مكة شحيحة كما حيث كانت تعتمد على تجمعات مياه الأمطار وبعض الآبار القريبة وترد لها المؤن بحرا من القاهرة واليمن وأثيوبيا "إنها منطقة لا تنبت عشبا ولا شجرا ولا أي شيء آخر"[3] ، (بل لقد حل عليها رضوان الله وبركته فهذا الجدب الظاهري منع عليها الاستعمار الأجنبي ورغم جدبها يأتيها رزقها رغدا من كل مكان)[4].

مكث **فارتيما** بها عشرون يوما وفي وصفها قال بأنه لم يجد أبدا تجمعا هائلا للبشر في مكان واحد ووقت واحد الحج.

وصلت القافلة لمكة وجذبه جمال الحرم المكي الذي "شبهه بالكلولوزيوم في روما، إلا أنه غير مبني بالحجار الضخام وإنما من طوب أحمر كان للمسجد الحرام مائة باب، وكان للكعبة رائحة جميلة ومعطرة بالمسك ومغطاة بالحرير الأسود وكان ارتفاعها بارتفاع قامة الإنسان.

كان **الزمزمي** عند بئر زمزم يصب على كل حاج ثلاث جداول من الماء كما لفت نظره حمام الحرم المنتشر في كل مكان، وقال أيضا إنه كان في مكة حيوانين لوحيد القرن أحدهما ملك إثيوبيا لحكم مكة تقديرا لوفائه.

بعد خمسة أيام من وصوله بدأ الحج وصعد عرفة، واستمع للخطبة وعاد إلى منى لرمي الجمرات وذبح الأضاحي، كاد أمره يفضح ذات يوم عندما شك

[1] المصدر نفسه. ص: 43
[2] المصدر نفسه. ص: 52
[3] رحلات فارتيما. ص: 52
[4] المصدر نفسه. ص: 52

في أمره رجل وقال إنه غير مسلم، هناك أشياء كثيرة تحدث عنها الرحالة غير أنني أوجزت فيها نظرا لطبيعة البحث والفترة الزمنية[1].

انتهت بذلك مهمة **لورد فيكودي فارتيما** في شبه الجزيرة العربية وأخذته الرياح إلى الساحل الإفريقي وزار منطقة من الحبشة أرض القديس يوحنا وموزمبيق وتوجه بعدئذ إلى شبه القارة الهندية حيث نزل في معاقل البرتغاليين وشارك في بعض معاركهم ومنح في الهند براءة الامتياز وكان وصوله إلى هناك بعد وصول **فاسكو دي جاما** بست سنوات فقط.

المبحث السادس: البلاد العربية كما وصفها الأجانب

كثيرة هي الرحلات الغربية إلى بلاد العرب فهي متعددة بتعدد دوافع الرحلة، وما من شك أن نظرة رحالة لمنطقة عربية تختلف عن رحالة أخر لذلك جاء هذا المحور ليقدم ما وصفه الرحالة الغربيين حول البلدان العربية متوسلين ببعضه من مثل **لودفيكو دي فارتيما كريستين نيبور جون لويس بوركهارت**

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عددا كبيرا من الرحلات الغربية نحو بلاد العرب لهذا سنقتصر على بعضها وبعض البلدان التي وصفها هؤلاء الرحالة.

حيث بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق وما بعث ذلك أسباب كثيرة منهم من قصد هذه البلدان مستطلعا حالها من آثار وعادات وتقاليد ومنهم دارسا لغتها وتاريخها ومنها صنفوا في ذلك كتب ومقالات ووضعوا خرائط تبين مسار رحلته.

إن الناظر فيما كتبه الرحالة الغربيون عن البلاد العربية وخاصة الحجاز يجد كما هائلا من المعلومات الثرية والملاحظات الجيدة والتحليل العميق لشؤون الحياة، إن ما كتبه الأجانب عن الحجاز والأماكن الدينية بالخصوص يعد من أكثر ما كتب عن أي مكان في الأرض[2].

لود دفيكودي فارتيما إن رحالتنا هذا قام برحلته إلى الشرق فأبحر من إيطاليا قاصدا مصر حيث أرسى على ساحل الإسكندرية، ليبدأ رحلته من مصر

[1] المصدر السابق ص 58
[2] المصدر السابق ص 57

ثم ليتوجه إلى بلاد الشام ليطوف بعد ذلك بلاد العرب الحجاز، ومنه ليعرج في اتجاه اليمن فالخليج العربي وأخيرا بلاد فارس.

مما يشد الانتباه في هذه الرحلة وصف صاحبها المدن والأماكن التي استكشفها بطريقة مختزلة مركزا على أهم عنصر لعله مجال السكان معددا صفات المدينة وعدد سكانها ومبرزا عقيدتها الدينية فهو "يذكر عن المدن عدد بيوتها ومساجدها والأحداث البارزة في تاريخها و منتوجاتها التي يراها في الأسواق وأزياء ملابس أهلها وصورة صحيحة عنهم وعاداتهم"[1].

يقول في وصف بلاد سوريا "و رسوت بها أول ما رسوت في بيروت بعد مسافة استغرقت 500 ميل ومكث فيها بضعة أيام وهي مدينة مزدحمة جدا بالسكان المسلمين و تزدخر بالبضائع المختلفة ويضرب البحر بأمواجه في سوريا"[2].

إن ما يجعل من الرحلة تمتلك سرديتها هي دقة الملاحظة وصحتها وفي ما تتسم به من الوصف الواضح والمحكم بالإضافة إلى لذة النسق الروائي الخيالي.

وإذا ما درسنا وصف رحالتنا لبلاد الحجاز نرى هذا التمكن في الوصف خصوصا عندما يصف المدينة المنورة يقول "قبل دخول مدينة النبي التي تضم حوالي ثلاثمائة منزل ويحيطها سور من الطين ومساكن المدينة قد شيدت جدرانها من الحجارة... وعلى مر من حجرين خارج المدينة يوجد حوالي خمسين أو ستين نخلة وفي بستان آخره قناة ماء تنحدر أربعا وعشرين درجة على الأقل".

هذا الوصف الدقيق للمدينة المنورة يدل على رؤية الرحالة الواقعية من جهة وعلى رؤية أنثوغرافية من جهة ثانية والمثال دال على ذلك ويعد النفس الوصفي في هذه الرحلة ملمحا مميزا على اعتبار أن الرحالة يلتجئ إلى المقارنة بين البلدان وخاصة بينها وبين بلدان إيطاليا.

أما فيما يخص مكة المكرمة فيقول عنها الرحالة "إنها مدينة رائعة الجمال قد أحسن بناؤها وتضم حوالي 6000 أسرة ومنازلها جيدة تماما كمنازلنا في إيطاليا وتوجد منازل يساوي الواحد منها ثلاثة أو أربعة آلاف دوكات ولا يحيط

[1] جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب خمس قرون من المغامرة والعلم. ص: 39
[2] رحلات فارتيما. ص: 24

بمكة سور وعلى بعد مكة بربع ميل وجدنا جبلا يوجد به طريق نحتته الأيادي يوجد من خلالها أربعة مداخل"[1]

ويسترسل في وصف مكة المكرمة بأسلوب محكم الصياغة مقدما إحداثيات وجودها، يوجد إلى جهة الجنوب من مكة جبلان وإلى مشرق الشمس يوجد ممر جبلي آخر.

ومنه يمكن القول بأن الرحالة يعتمد في وصف البلدان والمناطق على عناصر أساسية، لعل أهمها تقديم إحداثيات هذه المدينة بأسلوب عملي متأدب أي أن الأسلوب العملي عند **فارتيما** يرتقي إلى درجة الأدب، وهذا ما نجده في كل البلدان التي ارتحل إليها، لكن اقتصارنا على هذه البلدان العربية راجع إلى كثرة البلدان العربية التي وصفها الرحالة من جهة وإلى ضيق المجال من جهة ثانية.

إن كل رحلة لا تخلوا طبعا من الوصف والملاحظة **فبوركهارت burckhardt*** في هذه الرحلة"رحلات إلى شبه الجزيرة العربية" يعدد لنا أوصاف البلدان التي زارها بأسلوب سردي، قوامه التشويق والإمتاع يقول مثلا في وصف مكة المكرمة: يبجل العرب مكة بالعديد من الألقاب الرفيعة، والرزانة والأكثر شيوعا هي: (أم القرى)، (المشرقة)، (البلاد الأمين)... تقع هذه المدينة في واد ضيف ورملي، يتجه بشكل رئيسي من الشمال إلى الجنوب، إلا أنه يميل باتجاه الشمال الغربي قرب الطرف الجنوبي من المدينة، ...ويبلغ طول المدينة نفسها نحو ألف وخمسمائة خطوة، من الحي الذي يدعى الشبكية، إلى طرف معلاه، لكن كل امتداد الأرض الداخلية، ضمن تسمية مكة، من الناحية المدعوة (معابدة) على طريق الطائف يبلغ طولها ثلاثة ألاف وخمسمائة خطوة، ويبلغ ارتفاع الجبال التي تحيط بهذا الوادي الذي سماه العرب، قبل بناء المدينة، وادي مكة أو بكة، من اثنين إلى خمسمائة خطوة وهي جرداء تماما وخالية من الأشجار وتقع السلسلة الرئيسية على الطرف الشرقي من المدينة، ويميل الوادي باعتدال اتجاه الجنوب، حيث يقع حي (السلفة) المكان المنخفض، وتضيع مياه الأمطار الآتية من المدينة في الوادي المكشوف، نحو جنوب المسلفة وهو وادي الطرفين، ويقع الجزء الأكبر من المدينة في الوادي

[1] المصدر السابق. ص: 51

* ولد جون لويس بوركهارت في لوزان في سويسرا سنة (1198ه-1784م) ويسمى كذلك الشيخ إبراهيم، من الرحالة الغربيين الذين رحلو إلى بلاد العرب خلال فترة الإمبراطورية العثمانية، قاصدا بلاد العرب خصوصا سوريا، حيث قضى فيها ثلاث سنوات متخفيا في رجل تاجر، متجها نحو لبنان، و حوران سالكا طريق الحج في اتجاه القاهرة ثم قام برحلة إلى بلاد الهند في آسيا قاطعا سبيل صحراء سوالكن ثم إلى جده توفي في القاهرة، سنة 1817 رحلته الموسومة برحلات شبه الجزيرة العربية"، جون لويس بوركهارت، الانتشار الغربي، ترجمة هتاف عبد الله، ط1، 2005، 89

نفسه، لكن هناك أيضا أجزاء منها قد بينت على جوانب الجبال، خاصة السلسلة الشرقية حيث تقع المساكن البدائية لقبيلة قريش وحيث تقع المدينة القديمة.

من خلال منطوق هذا الكلام نستنتج دقة الرحالة في تقديم واستحضار المعطيات الخاصة بوصف مكة المكرمة، مستعملا كذلك أرقام التزكية المعطيات وهذا إن دل على شيء فإنما على ثقافة الرحالة الواسعة والمعرفة الكبيرة بخصوص البلدان العربية.

تتصف رحلة **كارستين نيبور*** التي طاف بها بلاد العرب هو الآخر بالدقة في الوصف، وقلما نجده يتحدث عن نفسه فيها، فكتاباته خالية من الذاتية غير أنها تتصف بأسلوب أدبي هدفه العلم والمعرفة.

"يحدثنا نيبور عن المدينة المنورة التي تقع على مسيرة يوم من ينبع ووصف أسوارها المتعرجة غير المتناسقة، وتحدث عن إدارة المدينة التي كان يتولاها في تلك الفترة شريف من ذوي بركات، خصوصا المسجد النبوي الشريف ومكان قبره الطاهر، وبعض الأماكن المقدسة في المدينة خصوصا المثير في هذه الأوصاف للبلدان العربية عند هذا الرحالة هي تشابهها مع ما جاء به الرحالة **فارتيما** سالف الذكر، حيث لا يضيف كثيرا إلى ما رواه **فارتيما** الذي كان ينبور لن يقدم للمؤرخ العربي الذي يكتب عن الحجاز في تلك الفترة شيئا ملموسا"[1].

*ولد كارستين نيبور في فريزلاند في 3 شوال 17/1145 مارس 1733 في مزرعة بجوار البحر لأب مزارع كان يصارع الكفاف. توفيت والدته وهو في المهد، وتولت زوجة أبيه أمر تربيته، وعجز والده المزارع سليل أسرة المزارعين. فانخرط يكسب عيشه بالعمل في المزرعة. وتلقى كارستين أول تعليم منتظم في سن الثانية والعشرين وعمل بعدئذ مهندسا عسكريا و استطاع أن يدخل جامعة جوتنجن في عام 1170 ه/ 1757 م. مال إلى علوم الرياضيات كما درس اللغة العربية وإن لم يظهر أي تقدم في هذا المجال وقد أوكل إليه تقصي المعلومات الجغرافية في الرحلة. مات عن اثنين وثمانين عام من أبريل عام 1815م.

[1] المصدر السابق. ص: 107

لعل معظم الرحالة الغربيين الذين رأوا مدن الحجاز، أو البلدان العربية بصفة عامة، يستندون في وصفهم على أسلوب علمي محض، أما إذا تعلق الأمر بسرد معطيات أو بوصف الأماكن والأشخاص وغير ذلك فيترسلون بالأسلوب الأدبي المتميز.

1. صورة الإنسان:

صورة الإنسان في هذه الرحلة رحلة **فارتيما** متعددة الألوان حسب الشخصية وموقعها في الحياة، تختلف بين الرجل والمرأة بين العربي وغير العربي (اليهودي، المسيحي....) غير أن الملاحظة العامة التي يمكن تسجيلها هي أن هناك ما يمكن عده صورة نمطية ثابتة للعربي "البدو" انطلاق من ذلك يمكن تسليط الضوء على العناصر التالية.

2. صورة العربي:

"يصادف **فارتيما** العرب ويصفهم بالبدو ويصفهم وصف لا يخلو من الإزدراء[1]، "فهم رغم كثرتهم إلا أن انحطاط عقولهم"[2] يشير إلى أن ألوانهم مزيج بين الأصفر والأسود وقاماتهم قصيرة وبنياتهم ضئيلة خمينة وشعورهم سوداء مسترسلة "أصواتهم مثل صوت النساء"[3]، يمتطون خيولا ظهورها عارية من السروج إلا من قطعة قماش أو حصير يستعملون رماحا يصل طول عصيها من عشرة إلى اثني عشر ذرعا، تنتهي في أحد طرفيها بنصل من حديد العورة لقوله "فذلك يرجع إلى أنهم كانوا جميعا عراة ويركبون خيولا غير مسرجة"[4].

يبدو أن فارتيما لم يحسن تصوير العرب كما هم في الحقيقة، و الحقيقة أن العرب ذوي أجسام ضخمة و قامات طويلة و أصوات خشنة ، بل هم رجال بمعنى الكلمة.

شيخ أسرة الزعبي العربية: يصفه بأنه شيخ لأولئك البدو وأنه رجل قوي مرهوب الجانب يخشى سطوته السلاطين والأمراء يتمتع بثراء عظيم ووفرة في الأموال والإبل والخيل "كما أنه يمتلك 40000... حصان و 10000 فرس و

[1] علي عرفة عبده. أوربيون في الحرمين الشريفين ط1. عالم الكتب، القاهرة، 2014. ص: 17
[2] رحلات فارتيما. ص: 37
[3] المصدر نفسه. ص: 39
[4] رحلات فارتيما. ص: 39

30000 و بعير"[1]، والمهارات السريعة لقوله "يبدو لي أنهم لا يعدون وإنما يطيرون كالصخور"[2].

3. صورة المماليك:

يرى بأن المماليك في أصلهم مسيحيون وتركوا المسيحية وذلك لأن السلطان قد اشتراهم وأنهم مهتمون بوقتهم دائما يعملون "إما على السلاح وإما على فن الكتابة وتحصيل العلم وذلك بغية تحقيق الامتياز في كلا المجالين"[3].

كما يرى **فارتيما** هؤلاء المماليك المرأة آلة للجنس وينظرون إليها نظرة شهوة وذلك عند الالتقاء بواحدة منهن مس يدها وسحبها للداخل ثم يأتيها كيف يشاء"[4]، وهذا يحيل إلى ما يتمتع به المماليك من حرية.

4. صورة المرأة :

يرتبط موضوع المرأة في جوهره بحوار الحضارات، وما تتضمنه من نماذج ثقافية متعددة، تقدم رؤية للآخر فنجد هذه الصورة أبلغ تجسيداتها في تنميط المرأة، باعتبارها تجليا للحضارة.

صورة إيجابية عنها: تضع حجاب و نقاب فهذا ما يدل على السترة، وإنها تقاوم من يهاجمها لمعرفة من هي "إلا أن الفتاة تقاوم إن أراد الملوك أن يعرف من هي (أن يرى وجهها) ذلك لأن كل النساء منقبات، ولذلك فهن يعرفننا إلا أننا لا نعرفهن"[5].

"إن النسوة في دمشق يجئن ويرحن وقد ارتدين أثوابا حريرية جميلة فوقها عباءات صوفية بيضاء رقيقة ولامعة"[6]" إنهن جميعا يرتدين صناديل"[7] بمختلف ألوانها.

---

[1] المصدر نفسه. ص: 35
[2] المصدر نفسه. ص: 36
[3] المصدر نفسه. ص: 30
[4] رحلات فارتيما. ص: 30
[5] المصدر نفسه. ص: 30
[6] المصدر نفسه. ص: 31
[7] المصدر نفسه. ص: 31

صورة سلبية:" عند حديثها مع المملوك:" أخي ألا يكفي أن تفعل معي ما تريد وأن تكتم رغبتك في معرفة من أنا؟ وإن ذلك قد حدث بعدها استعطفته لتركها وشأنها "بعد أن يكون قد أتاها، فالكاتب هنا يصف المرأة العربية بالمرأة الشهوانية.

كما تحدث عن شغف نساء بلاد العرب السعيدة بالرجال البيض فإنهن كن في غاية الرقة والجمال وإنهن يحاولن التقرب منه ومن رفقائه " تظل هكذا عند النافذة من الصباح حتى المساء، لتراني وتتجاذب أطراف الحديث معي[1].

ما يمكن قوله في هذا الصدى هو أن فارتيما لم يصور المرأة العربية على حقيقتها بأنها امرأة عفيفة و طاهرة بل شبهها بكل تفاصيل المرأة الغربية ، و هذا تشبيه خاطئ لصورة المرأة العربية .

5. صورة للمعتقدات، العبادات، الطقوس:

"يعترف الرحالة بتأثير الدين القوي على العرب"[2]، فهي أحسن دون تميز وصف الشعائر التي كانت تمارس في مكة، وأعجب بالمدينة المقدسة المحاطة بالجبال.

لم يكتف الرحالة بنقل الصورة للعبادات والطقوس التي يقوم بها العربي بل تغلغل فيها وراح يصفها كل على حدا.

6. صورة مكة:

أعجب **فارتيما varthema** بالمدينة المقدسة، ويرى بأنها مكان ذات الشرف الباهر " إنها مدينة رائعة الجمال قد أحسن بناؤها"[3]، ومن شدة إعجابه راح يشبه منازل مكة بمنازل إيطاليا ..."...ومنازلها جيدة تماما كمنازلنا"[4] في ايطاليا.

وأن مكة لا يحيط بها أي سور، وهذه المنازل كبيرة الحجم، وعلى بعد مسافة ربع ميل يوجد جبل "تمثل أسوارا لمكة المكرمة يوجد من خلالها أربع مداخل"[5]

فهنا الرحالة قد وصف مكة المكرمة كما رآها هو بعينه وليس كما سمعه عنها.

7. الكعبة المشرفة:

[1] رحلات فارتيما. ص: 71
[2] ينظر: عزوز نواصري. الجزائر في أدب الرحلة الفرنسي مذكرة ماجستير. ص: 72
[3] رحلات فارتيما. ص: 51
[4] المصدر نفسه. ص: 51
[5] المصدر نفسه. ص: 52

يعرف مما كتبه بوركهارت أن الكعبة قدس أقداس مكة وقد أعيد بناؤها كليا سنة 1627 أما دي فارتيما فقد رآها في حالتها القديمة، وقد ذكر المسجد المستدير الرائع كل الروعة بمدرج الكوليزية في روما.

ويقول بأنها محاطة بنسيج من الحرير الأسود، ويمكن الدخول إلى الكعبة من باب الفضة "وعند كل ركن من أركان الكعبة (البرج) توجد حلقة"[1]

8. الطواف حول الكعبة:

وذلك في الرابع والعشرين من شهر مايو، يطوفون حول الكعبة مقبلين بزواياها وبعد الفراغ من ذلك يقتربون من بئر "زمزم" وفيها يستغفر المؤمن الله بصوت مرتفع، يلقي على رأسه ثلاثة أسطل من الماء ليبتل حتى أخمص قدميه **" بسم الله الرحمان الرحيم، اللهم اغفر لنا"**[2]، كون هذا البئر مطهر للخطايا.

9. التوجه إلى منى:

وذلك لتقديم الأضاحي وذلك بنحر عدد من الخراف يتراوح بين اثنين وستة "ويقدم كل ناحر من نحره إلى الفقراء، حبا لله وتقربا إليه (سبحانه)"[3].

10. طلب الغفران:

يعلن الحاج توبته، ويسرع بالعودة إلى البلدة وفي الطريق يلاقي جدار في أسفله كمية من الحجارة الصغيرة "هي حجارة يقذف بها الحجاج والذين مروا بهذا الجدار"[4]، وعلى كل واحد أن يقوم بالرجم على الشيطان ويشرح فارتيما هذه الشعيرة الدينية فيقول إنها رمز للطاعة.

11. العادات والتقاليد:

[1] جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب خمس قرون من المغامرة والعلم. ص: 44
[2] رحلات فارتيما. ص: 55
[3] المصدر نفسه. ص: 56
[4] رحلات فارتيما. ص: 56

تزخر البلاد العربية على اختلاف مناطقها بمختلف المنتوجات والأصناف "يردها كميات من منسوجات القطن والكتان والحرير" "وكميات كبيرة من الجواهر والأفاويه"[1].

12. الصورة الاجتماعية:

تحدث فارتيما عن حياة العرب وذكر الناس يمشون لا شبه عراة ولكنهم يعيشون كمسلمين ويفعلون كل شيء في الطرقات ويقول في هذا الصدد "يأكل المسلمون في غالبهم في الطرقات حيث تباع الملابس"[2]، و"يأكلون وهم جلوس في الطريق"[3]، وبذلك فهو يصورهم كمتسولين والمتشردين الذين يفعلون كل شيء في الشوارع.

الزواج:

تختلف العادات والتقاليد من منطقة لأخرى ومن بيئة لبيئة ومن مجتمع لمجتمع وذلك باختلاف الديانات كما يتضح في قوله "ورغم أنهم يقولون أن المسلم يتزوج خمس نسوة أو ست إلا أنني لم أر مسلما في هذه المناطق قد تزوج أكثر من امرأتين أو ثلاث على الأكثر".

اختلف منظور فارتيما عن المنظور الإسلامي في الزواج غير أنه كان موضوعيا في نقله لصورته.

13 .الصورة الاقتصادية:

يصور الصعوبات التي تتخلل الملاحة مابين جدة وجزيرة قمران هذه المنطقة غنية فهي تزخر بمختلف أنواع الفواكه عنبا، دراقن، سفرجلا، تفاحا رمانا، ليمونا، برتقالا، بالإضافة إلى كميات وافرة من اللحم والحنطة والشعير والذرة البيضاء لصناعة الخبز، كما يصف الأدوات والأسلحة التي يستعملونها في الحرب وعدد المحاربين، أمل منطقة مزيرب فهي منطقة زراعية ومتحضرة.

[1] المصدر نفسه. ص: 57
[2] المصدر نفسه. ص: 31
[3] المصدر نفسه. ص: 31

خاتمة

و من خلال بحثنا هذا توصلنا الى خاتمة محوصلة في مجموعة نقاط أهمها:

- ✓ يتميز مفهوم الرحلة بالتعدد و الاختلاف مما يساعد الإنسان على اكتشاف موطنه وسلك البشر لمناحي مختلفة، حيث يهدرون أعمارهم ويجوبون الآفاق وذلك من أجل تدوين رحلاتهم، التي تركت انطباعا وتأثيرا في نفسية الرحالة.
- ✓ يتعرض الرحالة في رحلته لمجموعة من الآثار الأدبية ويصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وما شاهده من مناظر طبيعية.
- ✓ طغيان الذاتية على الرحالة كونه يصور ما شاهده هو بعينه.
- ✓ يندرج أدب الرحلة ضمن الواقعية المتضمنة للدقة وصدق التعبير.
- ✓ تقوم الرحلة على السفر و الانتقال وتصور الحضارات بما تحويه من أخبار الأمم ونادر الحكايات.
- ✓ يدعو أدب الرحلة إلى السير وكشف مضامين الحياة و مجاهيل الأرض واستلهام العبر مما أكسبها أهمية كبيرة في تصوير مختلف مظاهر الحياة على مر العصور
- ✓ تكشف الرحلة ما لا يكشفه التاريخ فهي تزود أهل التاريخ والجغرافيا والأدب وغيرهم من معلومات قيمة، والرحالة أنفسهم يحصلون على مختلف المعارف والتجارب وبهذا فهي تشكل متعة أدبية.
- ✓ يتميز أدب الرحلة بتنوع الأسلوب من السرد إلى الوصف والحوار.
- ✓ أدب الرحلة من أهم المصادر المعتمدة لدى المؤرخون والجغرافيون على اختلاف مشاربهم و منطلقاتهم الفكرية.
- ✓ تتعدد أنواع الرحلات وتختلف وذلك حسب الأسباب والغايات فأصبحت الرحلة لأزمة وضرورية.
- ✓ تختلف دوافع الإنسان في الرحلة من شخص لآخر ومن زمن لزمن من أجل معرفة الآخر أو اكتشاف العالم وهي تسعى لفائدة الفرد والجماعة.
- ✓ لم تقتصر الرحلة على منطقة واحدة بل شملت العربية والغربية منها.
- ✓ يتفق المؤرخون على أن أول القادمين إلى الجزيرة العربية كان مغامرا يدعى **لـود فيكودي فارتيما.**
- ✓ ارتبط اسم **فارتيما** بالحاج يونس المصري وفي الهند و اندونيسيا باسم الحاج يونس العجمي غير أن ما يعرف عنه هو ما قاله **فارتيما** عن نفسه.
- ✓ وظف **فارتيما** في رحلته إلى بلاد العرب الصحراوية أسلوب أدبي قائم على الفنية والجمالية التي تتميز بالوصف والسرد والدقة كما تميزت رحلته بالإيجاز في معالجة الموضوعات لكي لا يكون السرد مملا مما جعل لغته تتسم بالرصانة والسهولة علاوة على امتزاجها بلغة التاريخ والسياسة والجغرافيا والدين.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريـــــــــــــم

أولا :المصـــــــــــادر

1. رحلة فارتيما. الحاج ترجمة وتعليق عبد الرحمان عبد الله الشيخ

ثانيا :المراجـــــــــع

1. أبو القاسم سعد الله .تجارب في الأدب والرحلة .ط .1المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983
2. الحسن الشاهدي .أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني .ج .1ط .1 منشورات عكاظ
3. التجيبي القاسم .يوسف التجيبي السبتي .مستفاد الرحلة والاغتراب
4. الغزالي أبو حامد .إحياء علوم الدين .السفر ج2
5. حسين حسني محمود .أدب الرحلة عند الغرب، ط2، دار الأندلس سلسلة عالم المعرفة، بيروت، لبنان،1983
6. حسين محمود فهيم، أدب الرحلات، ط1، العدد138 ، الكويت، يناير،1978
7. رحلة شاتور بان ضمن كتاب مي عبد الكريم، من يوميات الرحالة الأوروبين، ط1، السويد للنشر والتوزيع،2005
8. رينزو ماتروني، اليمن .رحلة إلى صنعاء،1878.1877
9. شوقي ضيف .الرحلات .ط4، دار المعارف، القاهرة
10. عبد الرحيم مودن .أدبية الرحلة .ط .1دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء
11. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم .روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية .ط1، ج1، دار الساقي للنشر، بيروت،2013
12. علي عرفه عبدة .أوربيون في الحرمين الشريفين .ط .1عالم الكتب، القاهرة، 2014
13. عماد الدين خليل .من أدب الرحلة .ط .1دار ابن كثير،2005
14. محمد العبدري البلنسي .الرحلة المغربية .ط .1منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007

15. محمد بن حسن بن عقيل موسي الشريف .المحتارات من الرحلات الجازية. ط .1 مجلد1 ، دار الأندلس الخضراء،2000

16. ناصر عبد الرزاق الموافي .الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط1، دار النشر للجامعات المصرية .مكتبة الوفاء، القاهرة،1990

17. نقولا زيادة .الرحالون المسلمون و الأوروبيون .ط .1الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان،2010

18. نوال عبد الرحمن الشوابكة .أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر هجري .ط .1دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان،2007

ثالثا :المراجــع الأجنبية

1. جالكين بيرين .اكتشاف جزيرة العرب خمس قرون من المغامرة والعلوم، تر : قدري قلمجي .وقدم له الشيخ حمد الجاسر .ط .1دار الكتاب العربي

رابعا :الرسائـــــــــل

1. جميلة روباش .أدب الرحلة في المغرب العربي .رسالة دكتوراه .جامعة بسكرة،2015-2014

2. عبد الله بن عثمان ياقوت .أدب الرحلة الحجازية عند الأندلس ق 6 إلى سقوط غرناطة .رسالة دكتوراه .جامعة أم القرى .كلية اللغة العربية، السعودية، 2001

3. عزوز نواصري .الجزائر في أدب الرحلة الفرنسية..غي دي موباسان.:مذكرة ماجستير

4. لمبروك أعمر .الفضاء المديني ودوره في التشكيل السردي .رحلة العبدري أنموذجا .رسالة ماجستير .كلية الأدب واللغات .قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2013

خامسا :المجـــــــلات

1. انجل بطرس .الرحلات في الأدب الانجليزي .مجلة الهلال .ع .7السنة83 ، يونيو 1975

2. زردومي إسماعيل .تقنيات السرد في رحلة فيض العباب .مجلة العلوم الإنسانية جامعة بسكرة .العدد .8 جوان2005 .

3. عمار محمد النهار .الرحلات الحديثة المتبادلة بين الشرق والغرب .مجلة دوائر الإبداع .العدد الثالث .جامعة دمشق2015 .

الفهرس

الفهـــرس

الإهـداء

الشكـــــر

مقدمة..... أ- ه

الفصل الأول: مدخل إلى أدب الرحلة 7

المبحث الأول: تعريف أدب الرحلة 7

المبحث الثاني: أهمية أدب الرحلة 10

المبحث الثالث: أنواع الرحلة 13

1. **الرحلة الدينية والتعليمية: 13**
2. **الرحلة التجارية: 15**
3. **الرحلات الرسمية: 16**

المبحث الرابع: دوافع الرحلة 17

1. **الدوافع الدينية: 17**
2. **دوافع علمية أو تعليمية:.....17**
3. **دوافع سياسية..... 18**
4. **دوافع سياحية وثقافية..... 18**
5. **دوافع صحية:.....18**
6. **دوافع اقتصادية 18**
7. **دوافع أحرى 19**

المبحث ألخامس أسلوب الرحلات 19

1. **أسلوب الرحلة الفهرسية: 19**
2. **أسلوب رحلة ابن رشد.....19**
3. **أسلوب الرحلة المغربية..... 21**
4. **أسلوب مستفاد الرحلة..... 22**
5. **أسلوب مذكرات النميري.....22**

المبحث السادس: أدب الرحلة عند الغرب..... 24

المبحث السابع: أدب الرحلة في إيطاليا..... 27

الفصل الثاني:دراسة في رحلة فارتيما إلى بلاد العرب الصحراوية

ملخص الرحلة..... 31

المبحث الأول: نبذة عن حياة لودفيكودي فارتيما..... 33

المبحث الثاني: أهم أعماله 35

المبحث الثالث: رحلة فارتيما..... 36

المبحث الرابع: أسلوب الرحلة ومناهجها 37

المبحث الخامس: دوافع الرحلة وخط سيرها..... 42

1. دوافع الرحلة: 42
2. خط سير الرحالة..... 43

المبحث السادس: البلاد العربية كما وصفها الأجانب 48

1. صورة الإنسان:..... 53
2. صورة العربي:..... 53
3. صورة المماليك:..... 54
4. صورة المرأة :..... 55
5. صورة للمعتقدات، العبادات، الطقوس..... 56
6. صورة مكة:..... 56
7. الكعبة المشرفة:..... 57
8. طواف حول الكعبة:..... 57
9. التوجه إلى منى:..... 57
10. طلب الغفران:..... 58

11. العادات والتقاليد: 58

12. الصورة الاجتماعية 58

الزواج..... 58

1. الصورة الاقتصادية 59

خاتمة..... 61

قائمة المصادر والمراجع

الملخص

ملخص البحث

تعتبر الرحلات منابع ثرة ومادة وفيرة لمختلف العلوم وذلك من خلال ما ينقله الرحالة عند انتقاله من مكان إلى آخر وهو يقوم بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته في مختلف المجالات فالرحلة سجل خاص لشتى مظاهر الحياة.

ونظرا لذلك فقد سلطت الضوء في هذه الدراسة على كتاب مهم في مجال أدب الرحلة عرضت من خلاله رؤية الرحالة الإيطالي **لودفيكو دي فارتيما** للبلاد العربية بصفة عامة والبلاد العربية الصحراوية بصفة خاصة حيث يهدف الرحالة من خلالها لرؤية البلاد التي لم يراها أهل البندقية وتصوير مختلف مظاهر الحياة التي تسود تلك البيئة بأسلوب شيق وممتع.

Resumé

les voyages se considèrent comme des sources de richesses et de matériel pour les différent sciences ,par le transfert du voyageur en passant d'un endroit à un autre enregistrant ses observations dans divers domaines .Le voyage est un dossier spécial de divers aspects de la vie Grace à laquelle la vision des voyageurs LUDVICO DE VARTIMA des pays arabes en général et les pays arabes du désert en particulier ,ou le voyageur vise à voir le pays qui n'a pas vu les gens de Venise et dépeindre les divers aspects de la vie qui prévalent dans l'environnement dans un intéressant et agréable.

Riassunto

lviaggi sono fonti di richezza e materiale abbondante per le varie scienze attraverso il trasterimento del viaggiatore quando si spostano da un luogo all'altro registrando le sue osservazioni in vari campi .ll viaggio é un record speciale di vari aspetti della vita e in vista di questo ha evidenziato in questo studio un libro impotante nel campo della lettratura di viaggio offerto attraverso il quale la visione del .viaggiatore LUDVICO DE VARTEMA de paesi arabi in generale e dei paesi arabi del deserto in particolare dove il viaggiatore si propone di vedere il paese che non ha visto la gente di Venezia e ritrarre i vari aspetti della vit ache prevalgono nell'ambiante in un interessante e piacevole